

في
النور الإسلامي

(٢٦)



الحملة الفرنسية في الميزان

تأليف :

د. محمد عمارة

الحملة الفرنسية في الميزان

تأليف :

د. محمد عمارة



الحملة الفرنسية في الميزان
 د / محمد عمارة
 ديسمبر ١٩٩٨ م . (طبعة أولى)
 ١٦٧٤٣ / ١٩٩٨ م .
 ٩ - ٠٨٨٧ - ١٤ - S. N 977 .
 دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
 ٨- المنطقة الصناعية الرابعة
 مدينة السادس من أكتوبر .
 ت: ٢٢٠٢٨٧ / ١١ . ١٠ خطوط
 فاكس: ٢٢٠٢٩٦ . ١١/٢٢٠٢٩٦
 ١٨ ش كمال صدقى - الفحالة - القاهرة
 ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ . ٠٢/٥٩٠٢٣٩٥
 فاكس: ٥٩٠٢٣٩٥ . ٠٢/٥٩٠٢٣٩٥ . ص.ب: ٩٦ الفحالة
 ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
 ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٦٦٤٣٤ . ٠٢/٣٤٦٦٤٣٤
 فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ . ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ . ص.ب: ٢٠ إمبابة .

اسم الكتاب:

اسم المؤلف:

تاريخ النشر:

رقم الإيداع:

الرقم الدولي:

الناشر:

المكتبة:

مكتبة التوزيع:

ادارة النشر:

تمهيد

في «الوطنية» - كما في «الدين» - هناك أمور «معلومة بالضرورة» ، لا تختلف فيها ولا عليها بصائر ذوي التمييز من العقلاة .. ذلك لأن الوطنية الصحيحة ، مثلها كمثل الدين الصحيح فطرة فطر الله الناس عليها .. وعن الفطرة الدينية حدثنا القرآن الكريم عندما قال : **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَيْثِقَ فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**^(١) .. وعن فطرة الوطنية علمتنا رسول الله - ﷺ - حبه لوطنه مكة - حتى وهي على الشرك ، الذي حاصر دعوته ، واضطهد المؤمنين بها ، بل واستفز هؤلاء المؤمنين ليخرجهم من وطنهم - فقال - ﷺ - ينادي هذا الوطن - مكة - في لحظة الفراق ، يوم الهجرة : «وَاللَّهُ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ أَحَبُّ الْبَلَادَ إِلَيَّ اللَّهُ أَوْ أَحَبُّ الْبَلَادَ إِلَى نَفْسِي، وَلَوْلَا أَنْ قَوْمَكَ أَخْرَجُوكَ مِنْكَ

ما خرجمك» .^(٢)

ومع مطلع عصرنا الحديث ، ظهرت طلائع الأناشيد الوطنية ، التي نظمها علماء الإسلام ، فتحدثت عن فطرة الوطنية .. ومنها ما نظمها الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى (١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ - ١٨٧٣ م) عندما قال :

(١) الرؤم : ٣٠ .

من أصل الفطرة للفلسطين
هبة من الوهاب بها فاخمس لوهاب المحن^(١)

ومن فطرة الوطنية - التي اتفق عليها العقلاء ، من كل الشعوب وجميع الحضارات و مختلف الديانات ، على مر الأزمان ، الفرج بالانتصارات الوطنية - والاحتفال بها ، وإحياء ذكرياتها - والحزن بالهزائم والانتكاسات ، والاعتبار بها . . . المسلمين لا يزالون يحتفلون حتى اليوم بانتصارات الدولة الإسلامية الأولى يوم بدر (٢٦٤٦هـ) وبفتح مكة (٨هـ ٦٣٠) وبانتصارات القادسية (٢٠هـ ٦٣٦) واليرموك (١٥هـ ٦٣٦) والإسكندرية (٢٠هـ ٦٤١) وحطين (١١٨٧هـ ٥٨٣) وعين جالوت (١٢٦٠هـ ٦٥٨) والقسطنطينية (١٤٥٣هـ ٨٥٧) والعاشر من رمضان (١٣٩٣هـ ١٩٧٣) السادس من أكتوبر ١٩٧٣ . . .

فالاحتلالات الوطنية إنما تكون بالانتصارات ، لا بالهزائم والانتكاسات . . . وهذه الفطرة الوطنية السوية ليست خصيصة إسلامية ولا شرقية . . . وإنما هي فطرة إنسانية . . فالفرنسيون لا يزالون يحتفلون بتراجع مسلمي الأندلس في موقعة «بواتييه» - بلاط الشهداء - (١١٤هـ ٧٣٢) . . والتمساويون لا يزالون يحتفلون بتراجع الجيش العثماني عن أسوار «فينيا» (١٠٩٤هـ ١٦٨٣) . . بل لقد أقام الغرب الدورة الأولية - في «برشلونة» سنة ١٩٩٢م احتفالاً بانتصار الأسبان على المسلمين في الأندلس ، واسقاط «غرناطة» (٨٩٧هـ ١٤٩٢) قبل خمسمائة عام !! . .

(١) رفاعة الطهطاوي (الأعمال الكاملة) ج ٥ ص ٢٧٨ - دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت سنة ١٩٨١ م .

وكذلك الحال عند الصهاينة ، الذين بلغوا في الشتاؤذ عن
الفطرة السوية حتى «**قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَمْنَا وَأَشْرَبْنَا فِي قُلُوبِهِمْ**
الْعَجْلَ بِكُفْرِهِمْ»^(١) نراهم يبكون على هدم المعبد - ولا يحتفلون
به - وإنما يحتفلون بانتصارهم على العرب ، وإقامة دولتهم سنة
١٩٤٨ م ..

والهنود ، الذين تلمنوا - بقيادة قدسهم غاندي (١٨٩٦ - ١٩٤٨ م) - على الشورة المصرية التي قادها سعد زغلول (١٩٧٣ - ١٣٤٦ هـ ١٨٥٧ - ١٩٢٧ م) في سنة ١٩١٩ م .. لم يشذوا - رغم
تقديسهم للبقر - عن هذه الفطرة الوطنية السوية ، فاحتفلوا سنة
١٩٩٧ م بالعيد الخمسين للاستقلال عن بريطانيا .. ولم يحتفلوا
بذكرى الاحتلال الإنجليزي لبلادهم ، رغم أنهم قد أخذوا عن هذا
الاستعمار : اللغة .. والقومية .. والعلمانية .. والكثير من
الأداب والفنون والعلوم .. بل لقد بلغوا - إبان احتفالاتهم بذكرى
الاستقلال - إلى الحد الذي اشتربوا فيه على ملكة إنجلترا - وهي
تحضر احتفالاتهم - أن تعذر - رسميا - لشعب مدينة «أمستار»
المقدسة لديهم ، عن المذبحة التي ارتكبها الجيش الإنجليزي
الاستعماري في هذه المدينة سنة ١٩١٩ م ، إذا أرادت الملكة أن
تزور «أمستار» ! ..

تلك هي الفطرة التي فطر الله عليها الناس - الأسواء - في
«الوطنية» .. كما فطّرهم ، سبحانه ، عليها في «الدين» ..

قمة الشذوذ

لذلك .. يصبح الشذوذ عن هذه القطرة الإنسانية في الوطنية شيئاً غريباً .. بل وشذوذًا غير مسبوق في تاريخ الوطنية بإطلاق .. وانقلاباً على السلوك الإنساني الذي تعارف عليه وأجمعوا القبائل والأمم والشعوب .. فلا أحد يحتفل بذكرى اقتحام اللص لمنزله ، أو اغتصاب أرضه ، أو اتهام عرضه ، أو سلب سيادته على وطنه .. اللهم إلا هذا النفر من شواد المثقفين الفرانكوفونيين - بمصر - الذين ساروا في الركاب الفرنسي ، وقرروا الاحتفال - على امتداد عامين - بمائتي عام على حملة نابليون بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١) على مصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م) ! . محاولين ستر هذا العوار والشذوذ بادعاء أنهم إنما يحتفلون بالعلاقات الثقافية مع فرنسا ، وليس بالغزوة الاستعمارية .. يحتفلون بالطبعه والجمع العلمي وليس بالمدفع والبارود ! .. ولو صدقوا في هذا الادعاء ، لكان احتفالهم مبادرة ذاتية منهم ، بدلاً من أن يأتي استجابة ذليلة لأحفاد الغازى نابليون .. ولو كان لا دعائهم ظل من الحقيقة لجعلوا بهذا الاحتفال في ذكرى الجلاء الفرنسي عن مصر سنة ١٨٠١م - كما صنعوا ويصنع كل البشر - حتى الذين أشربوا في قلوبهم العجل ، والذين يقدسون البقر ! أو يجعلوا الاحتفال في ذكرى فك العالم الفرنسي «شمبليون» (١٧٩٠م) .. أو مثل (١٨٣٢م) الرموز اللغوية في «حجر رشيد» ، (١٢٤٢هـ ١٨٢٧م) .. أو مثل هذه المناسبات الثقافية ، الفرنسية - المصرية ، بدلاً من أن يجعلوا شهر يونيو سنة ١٩٩٨م - وهو شهر بداية الاحتلال الفرنسي لمصر سنة ١٧٩٨م -

بداية هذه الاحتفالات، التي أرادها الفرنسيون - ومعهم شواذ الفرانتقونيين المصريين - لمدة عامين، التي هي مدة الاحتلال!! .. بل إن شذوذ هذه الاحتفالات - والقائمين بها - عن «المعلوم من الوطنية بالضرورة» ليتزايد إذا نحن علمنا أن هذا الاستعمار الفرنسي - الذي يحتفلون به - ليس استعمارا عاديا - كسوه من ألوان البلاء الاستعماري ، الذي ابتليت به كثير من الشعوب ، وإنما هو قمة البلاء الاستعماري ، لأن الاستعمار الفرنسي على وجه الخصوص لم يكتف - عادة - بما اكتفى به كثير من المستعمرين، من: احتلال الأرض، ونهب الشروة، وسلب الحرية، وإذلال الكرامة .. وإنما تجاوز المستعمرون الفرنسيون - عادة - هذه المقاصد الاستعمارية إلى حيث ذهبوا المحو الهوية الدينية واللغوية للشعوب التي ابتليت باستعمارهم، فتعدى استعمارهم نطاق «الإمبريالية» إلى نطاق القتل والإبادة لتمييز الشعوب المستعمرة عن فرنسا.. لقد أرادوه قهراً ومعهواً «للذات»، وليس فقط اغتصاباً للإمكانات»! ..

بل لقد يدهش الذين لا يقلّبون صفحات التاريخ القديم إذا هم علموا أن الاستعمار الفرنسي قد مثل بالنسبة لمصر ووطن العروبة وعالم السلام أقدم موجات الاستعمار الأوروبي، وليس فقط أقسى وأخطر وأسوأ هذه الموجات! ..

● فحملات الغزوات الصليبية - التي استمرت على بلادنا العربية قرنيين من الزمان (٤٨٩ - ١٠٩٦ هـ ١٢٩١ م) والتي مثلت - بما أقامت في بلادنا من استعمار استيطاني ، وملك وامارات وقلاع وحصون ، وتهديد المقدسات الإسلام في الحرمين المكى والنبوى ، فضلا عن اغتصاب الأقصى وتحويله إلى كنيسة ، واحتلال القدس الشريف .. إلخ - هذه الحملات الصليبية بدأت مشروعاً باستعمارياً فرنسياً! ..

فمن جنوبي فرتسا - بـمدينة «كليبر مونت» بدأـت هذه الغزوـة ،
عندما دعا البابـا الـذهبي «إـربـان الثـانـي» (١٠٨٨ - ١٠٩٩ مـ) أـمـرـاء
الـإـقطـاع وـفـرسـانـهـم ، وـخـطـبـ فـيـهـم - دـاعـيـاـ إـلـىـ أـنـ يـتـخـذـواـ إـلـاسـلامـ
وـالـشـرقـ عـدـواـ يـوـجـهـوـنـ إـلـيـهـمـ طـاقـاتـهـمـ وـغـرـائـهـمـ العـدـوـانـيـةـ ، بـدـلاـ
مـنـ تـوـجـيـهـهـاـ فـيـ صـرـاعـاتـهـمـ الدـاخـلـيـةـ !! - فـقـالـ لـهـمـ :

«أـنـتـمـ فـرـسـانـ أـقـوـيـاءـ ، وـلـكـنـكـمـ تـتـنـاطـحـوـنـ وـتـنـابـذـوـنـ فـيـ مـاـيـسـنـكـمـ -
وـلـكـنـ ، تـعـالـوـاـ وـحـارـبـوـاـ الـكـفـارـ - (أـيـ الـمـسـلـمـيـنـ) !! .. يـامـنـ تـنـابـذـتـمـ اـتـحـدـوـاـ ..
.. يـامـنـ كـنـتـمـ لـصـوـصـاـ كـوـنـوـاـ الـآنـ جـنـوـدـاـ .. تـقـدـمـوـاـ إـلـىـ بـيـتـ الـقـدـسـ ..
اـنـتـزـعـوـاـتـلـكـ الـأـرـضـ الـطـاهـرـةـ ، وـاحـفـظـوـهـاـ الـأـنـفـسـكـ ، فـهـيـ تـدـرـ سـمـنـاـ
وـعـسـلـاـ !! إـنـكـمـ إـذـاـ اـنـتـصـرـتـ عـلـىـ عـدـوـكـ وـرـثـتـ مـمـالـكـ الـشـرـقـ !!

فـمـنـ فـرـنـسـاـ بـدـأـ أـوـلـ مـشـرـوـعـ أـوـرـبـيـ لـتـوـحـيـدـ حـتـىـ الـلـصـوـصـ
لـمـوـاجـهـةـ إـلـاسـلامـ وـالـمـسـلـمـيـنـ ، وـوـرـاثـةـ مـالـكـ الـشـرـقـ ، التـىـ «تـدـرـ سـمـنـاـ
وـعـسـلـاـ !!

وـعـنـدـمـاـ اـقـتـحـمـتـ هـذـهـ الغـزوـةـ - التـىـ اـنـطـلـقـتـ مـنـ فـرـنـسـاـ - مـدـيـنـةـ
الـقـدـسـ (٤٩٢ - ١٠٩٩ مـ) أـبـادـتـ مـنـ بـهـاـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ ، حـتـىـ
الـذـيـنـ اـحـتـمـوـاـ بـبـيـوـتـ اللهـ ، سـفـكـوـاـ دـمـاءـهـمـ ، حـتـىـ لـقـدـ سـبـحـتـ
خـيـوـلـ الـصـلـيـبـيـنـ بـدـمـاءـ الـأـبـرـيـاءـ فـيـ مـسـجـدـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ
- مـسـجـدـ قـبـةـ الـصـخـرـةـ - .. وـكـتـبـ هـؤـلـاءـ الـبـرـابـرـةـ - أـجـدـادـ نـاـبـلـيـوـنـ
بـوـنـاـبـرـتـ - إـلـىـ الـبـابـاـ الـذـهـبـيـ - فـيـ فـرـنـسـاـ - يـفـاخـرـوـنـ جـاـصـنـعـوـاـ ،
فـقـالـوـاـ : «إـذـاـ أـرـتـ أـنـ تـعـرـفـ مـاـيـجـرـيـ لـأـعـدـانـنـاـ ، فـلـقـ أـنـهـ - فـيـ جـامـعـ عـمـرـ -
كـانـتـ خـيـوـلـنـاـ تـغـوـصـ إـلـىـ رـكـبـهـاـ فـيـ بـحـرـ دـمـاءـ الـشـرـقـيـيـنـ !!

(١) دـ. مـحـمـدـ عـمـارـةـ (ـمـعـارـكـ الـعـربـ ضـدـ الـغـزـوـةـ) صـ ٢٥ طـبـعـةـ دـمـشـقـيـةـ مـنـتـهـيـةـ ١٩٨٨ مـ .

(٢) المـرـجـعـ السـابـقـ . حـسـنـ ٣٩ .

وبكلمات شاهد عيان - في مصدر نصراني - «فلم يقد استوعب المسجد من الدم المحتقن فيه كفى بعمر متموج^(١)»!

● ومن بين الحملات الصليبية - التي انطلقت من فرنسا - بقيادة أمرائها وملوكيها - تميزت حملات وحروب الملك - القديس - لويس التاسع (١٢٤١ - ١٢٧٠م) .. وكان لويس التاسع هو مكتشف المنهاج الذي سار عليه نابليون بحملته على مصر ! .. المنهاج الذي يرى أن مصر هي بوابة الشرق ، وطريق القدس الشريف .. فاحتلال مصر هو الشرط لاستعادة القدس - التي سبق أن حررها من الاستعمار الصليبي صلاح الدين الأيوبي (٥٢٢ - ٥٨٩هـ ١١٩٣ - ١٢٩٨م) - ولقد عبر المؤرخ «ابن واصل» (٦٠٤ - ٦٩٧هـ) في كتابه (مفرج الكروب في أخبار بنى أيب) عن هذا المنهاج - الذي سلكه لويس التاسع .. ومن بعده نابليون - فقال عن القديس لويس : «إنه كان متدينا يدين النصرانية ، مرتبطا به .. فحدثه نفسه أن يستعيد البيت المقدس إلى الفرنج .. وعلم أن ذلك لا يتم له إلا بملك الديار المصرية^(٢)»!

وعندما نقرأ الإنذار الذي وجهه القديس لويس التاسع إلى الملك الأيوبي الصالح نجم الدين أيب (٦٠٣ - ٦٤٧هـ ١٢٤٩م) نجد الحقائق الكاشفة عن دور فرنسا في ذلك الصراع .. فهو يتحدث عن نفسه باعتباره ممثل النصرانية الغربية - «أمين الأمة العيساوية» .. ويكشف عن دور فرنسا في الصراع ضد الإسلام ، لا في الشرق فحسب ، وإنما في الأندلس أيضا - فيقول :

(١) مكسيموس موزيوند (تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب) ج ١ ص ٢٨٢ طبعة القدس سنة ١٨٦٥م ..

(٢) (معارك العرب ضد الغزاة) ص ٩٦ ، ٩٧ ..

.. وإن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا، ونحن نسوقهم سوق البقر! ونقتل منهم الرجال، ونفرم النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ونخلع منهم الديار^(١)!!.. فحرب فرنسا ضد الإسلام كانت قائمة وشاملة في المشرق والمغرب على السواء ..

● وإذا كانت حملة القديس لويس التاسع قد انكسرت على أرض «المنصورة» - بدلنا نيل مصر .. بل ووقع «أمين الأمة العيساوية» أسيرا (١٢٥٠هـ ١٢٤٨م) .. فإن عهد هذا الملك وسنوات حملته الصليبية قد شهدت ريادة الاستعماري الفرنسي لبواكير الأحلاف غير المقدسة بين الاستعمار الغربي وبين الوثنية - حتى الوثنية - إذا كانت المواجهة مع الإسلام والمسلمين .. فعلى درب «يهود خيبر» - الذين تحالفوا مع مشركي مكة - عبدة الأولان - ضد التوحيد الإسلامي «ألم تر إلى الذين أتوكم نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجحث والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الدين آمنوا سبلا^(٢)» أو تلك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا^(٣) .. على درب «يهود خيبر» سارت فرنسا، مثلاً في «البابا إنوسنت الرابع» (١٢٤٣ - ١٢٥٤م) وفي القديس لويس التاسع، عندما سعى البابا إلى التحالف مع المغول الوثنيين ضد الإسلام والمسلمين ، فأرسل (١٢٤٣هـ ١٢٤٥م) إلى بلاط خاقان المغول - في «قراقorum» - بعثة رأسها أحد رجالاته - «جون ده بياني كابريني» - لإقناع المغول - الذين

(١) المرجع السابق : ص ٩٩

(٢) النساء : ٥٢، ٥١

كانتا يفكرون بغزو أوروبا - لإقناعهم بالتحالف مع الصليبيين ،
وتوجيه غزوه المدمرة إلى عالم الإسلام ! ..

وتواصلت المفاوضات بين الطرفين سنة ١٢٥٢ م - أى حتى بعد
هزيمة حملة لويس التاسع على مصر - حتى تم التحالف
اللامبدئي .. فزحف المغول على بغداد فدمروها (١٢٥٨ هـ ٦٥٦ م)
ثم دمروا بلاد المشرق ، وهددوا الوجود الإسلامي في جملته ، لولا
أن قيصر الله مصر هزيمتهم في «عين جالوت» (٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م) ..

بل إن هزيمة لويس التاسع في مصر لم تنه أحلامه الصليبية
الاستعمارية ، فذهب على رأس حملة صليبية أخرى لغزو تونس ،
حيث هزم وقضى تحبه هناك (٦٦٩ هـ ١٢٧٠ م) ..

● وبعد نجاح البرتغاليين - عقب سقوط غرناطة - في
الاتفاق حول العالم الإسلامي - أواخر القرن الخامس عشر
وأوائل القرن السادس عشر - .. وعندما بدأ أوروبا تفكير في
ضرب قلب العالم الإسلامي - مصر والوطن العربي - لم تجد أوروبا -
بوميذ - أفضل من فرنسا لتقود وتببدأ هذا الإنجاز الاستعماري ..
فالفييسوف الألماني (ليبنتز ، ١٦٤٦ - ١٧١٦ م) عند ما كتب كتابه الذي
وصف فيه واقع مصر الاقتصادي والعسكري والاجتماعي والديني .
سنة ١٦٧٢ م يشير أوروبا باستعمار مصر وسمى هذا الكتاب
(المخطوط الرئيسي لغزو مصر) . لم يجد هذا الفييسوف مُنَفِّداً
لشروعه الاستعماري أفضل من ملك فرنسا لويس الرابع عشر (١٦٣٨ -
١٧١٥ م) .. فقدمه إليه - رغم ما كان يومئذ بين ألمانيا وفرنسا من

تناقضات ومحاربات - لأن الجميع - في مواجهة الإسلام وال المسلمين - هم على قلب رجل واحد .. كل النصرانية الغربية .. وجميع المذاهب النصرانية .. وسائر القوميات الأوروبية .. بل وحتى التحالف مع الوثنية المغولية البربرية .. كل ذلك وارد و «مشروع» في مواجهة الإسلام والمسلمين ..

ولقد كان هذا (المخطوط السرى لفزو مصر) دليل تابينيون بونابرت (١٧٦٩م-١٨٤١م) وحملته الفرنسية على مصر .. بل وما كان كتاب (وصف مصر) الذى وضعه علماء هذه الحملة الفرنسية إلا الصورة المتطورة لهذا المخطوط .. فالمقصود والراد هو وصف الواقع لا احتلاله ونهب ثرواته، ودراسة عقل الأمة وفكريتها وعاداتها وتقانيدها وأعرافها ومواريثها، لتدبر كيفية التعامل معها، ليتأيد ويتأبد هذا الاحتلال ..

حملة نابليون على مصر

وإذا كانت مهمة هذه الصفحات ليست حكاية وقائع الاحتلال العسكري الفرنسي لأرض مصر .. والذى قام الفرنسيون - لتحقيقه - بقتل ثلث مليون مصرى - فى وقت كان تعداد مصر لا يتجاوز ٤٦٠٠٠٠٠ نسمة .. - أى أنهم قد ضربوا رقما قياسيا فى «الإبادة» عندما قتلوا ١/٧ الشعب المصرى ، فى مدة لم تتجاوز السنوات الثلاث !! -

وهدموا وأحرقوا الكثير من القرى - التي ثارت جميعها ضد جيش الاحتلال - والعديد من أحياء المدن ، التي تنافست فى المقاومة للغزاة .. حتى لقد كان للعميان - فى الأزهر الشريف - ثورتهم الخاصة ، والتى قدموا فيها وفي أعقابها العديد من الشهداء ! .. الأمر الذى جعل بونابرت - وهو الذى دوخ أوروبا - يهرب من مصر بليل .. وجعل خليفته الجنرال «كليبر» (١٧٥٣ - ١٨٠٠ م) يلشى مصر عه بضر .. أما ثالثهم - الذى خلف «كليبر» - وهو الجنرال «مينتو» (١٧٥٠ - ١٨١٠ م) - فلقد اضطر للاحتمام بالإسلام ، فأعلن إسلامه وسمى نفسه «عبد الله» وتزوج مصرية من مدينة «رشيد» ! .. لتضطر هذه الحملة - التي جاءت لتحقيق أحلام الإسكندر الأكبر (٣٢٣ ق . م) والقديس لويس التاسع .. ولويس الرابع عشر .. وبابوات فرنسا .. «والأمة العيساوية» الغربية .. تضطر إلى الرحيل عن مصر (١٢١٦ هـ ١٨٠١ م) ..

ليست مهمة هذه الصفحات حكاية الواقع التي اشتهرت في كتب التاريخ .. بقدر ما تطبع إلى لفت الأنظار إلى الجوانب الفكرية والحضارية التي قصدت إليها هذه الحملة ، ليعرف من لا يعرف أن جوانب الفكر في هذه الحملة الاستعمارية كانت في خدمة المدفع والبارود .. بل ربما كانت أخطر من المدفع والبارود! ..

● إننا نشكو اليوم - على النطاق العربي الإسلامي - من اختراق الغرب لأمتنا الوطنية والقومي والحضاري من خلال ثغرات الأقلية - الدينية والقومية - ومحاولاته تحويل هذه الأقلية إلى أوراق ضغط على الحكومات الوطنية ، وإلى عقبات أمام مشاريع التغيير والنهوض - القومية منها والإسلامية - بل والوطنية أحيانا - .. ولقد كانت لنابليون وحملته الفرنسية الريادة في هذا الاختراق! ..

لقد أعمل بونابرت - وهو في طريقه إلى غزو مصر - عن نيته تجنيد عشرين ألفا من أبناء الأقلية في الشرق، للاستعانت به كقبضة ضاربة، وفاز محن، ومواطن أقدام حملته الاستعمارية وحمله الإمبراطوري .. وبعد احتلاله لمصر ، بدأ التنفيذ لهذا المخطط الخطير والكريم .. فأغارى نفرا من «أرذل النصارى» - من الأقباط والطوائف الأخرى .. وخاصة أتباع المذاهب النصرانية الغربية - بالخروج على إجماع الأمة - المسلمين منها والنصارى - فكُونوا «في لقا قبيطي» التحق بجيش الحملة الفرنسية ، وحارب الشعب المصري مع قوات الاحتلال .. وقاد هذا الفيلق «العلم يعقوب حـ» (١١٥٨ - ١٢١٦ هـ ١٧٤٥ - ١٨٠١ م) - وهو الذي سماه الخبراء (١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ ١٧٥٤ - ١٨٢٢ م) «يعقوب اللعين»! ..

و «فيينا» ثانياً من النصارى الأروام ، قاده «برطلمين ينى الرومى»
- الذى اشتهر لدى العامة بـ «فترط الرمان» ! ..

وكما يقول الخبرتى - مؤرخ العصر وحاجته - فإن فيلق المعلم
يعقوب قد ضم من شباب القبط بالصعيد نحو الألفين .. وشارك
هذا الفيلق مع الجيش资料 - الذى قاده «ديزيره» - فى «فتح
صعيد مصر» ! .. ودرج المعلم يعقوب فى مراتب الجيش
الفرنسى ، فمنحه «كليبر» رتبة «كولونيل» ، وأنعم عليه «ميتو»
برتبة «جنرال» فى مارس سنة ١٨٠١م^(١) ..

فكان هذا أول اختراق استعماري غربى لصفوف الوحدة الوطنية
المصرية! .. ولقد تم على يد حملة نابليون ..

● وفي «ديوان المشورة» - الذى أقامه «بونابرت» - جعل لهذه
الأقليات غير المسلمة - والتى لا تتعدى نسبتها العددية بمجموع
السكان ٥ % - نصف عضوية الديوان العام والخاص - خمسة من
علماء الأزهر ، واثنان من التجار المسلمين ، وسبعة من الأقليات
النصرانية - وعندما يضاف إليهم الأعضاء الفرنسيون يصبح
المسلمون أقلية ضئيلة العدد والتأثير فى هذا الديوان^(٢) ..
فالهدف لم يكن تدريب الشعب على حكم نفسه - كما يزيف
المتغربون - وإنما كان إذلال الأمة بتحكم الأقلية الخائنة فى
مصالحها ! ..

● أما إجهاز المالى والإدارى - أوى الحكومة والسلطة التنفيذية

(١) (عجمان: الأثار فى الشارع والأخبار) ج ٥ ص ١٤٩، ١٤٨، تحقيق: حسن
محمد جوهر ، هنر الدسوقي ، السيد إبراهيم سالم . طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م .

(٢) المصدر السابق . ج ٥ ص ٤ .

- فلقد اختص بها الفرنسيون هذه الأقلیات التي أصبحت سیاطا
يلهی بها الفرنسيون ظهور المصريين !

● ولم يقف الأمر عند حدود توظيف هذا الاختراق لخدمة
المقاصد السياسية والمالية والإدارية . . وإنما تعداه إلى توظيف هذه
الشريحة - من «أراذل القبط» - كما سماهم الجبرتي - لا استفزاز
عقيدة الأمة ، والعدوان على إسلامها ! . .

فعلى النقيض من محاولات خدیعة المسلمين بادعاء «إسلام
بونابرت» ، ومجيء جیشه لنصرة سلطان المسلمين ضد
المماليک ! . . رأينا الجنرال كلیبر ، كما يقول الجبرتي . يعهد إلى
المعلم يعقوب حنا «أن يفعل بالمسلمين ما يشاء»^(١) . . حتى تطاولت
النصاری - من القبط ونصاری الشوام - على المسلمين بالسب
والضرب ، ونالوا منهم أغراضهم ، وأظهروا حقدهم ، ولم يبقوا للصلح
مكاناً ! وصرحوا بانقضاض ملة المسلمين وأيام الموحدين^(٢) . . فتلق
الوحدة الوطنية بلفت به الحملة الفرنسية حد استفزاز وتهديد حتى عقيدة
الإسلام في مصر ، واعلان «انقضاء ملة المسلمين ، وأيام الموحدين» . . .

● بل إن هذا الاختراق الذي أحدثته الحملة الفرنسية تلوّحه
الوطنية المصرية ، لم تنسق أثاره بهزيمة هذه الحملة . وجاء
جيشهما عن مصر (١٢١٦هـ ١٨٠١م) وتسريع «الفيلق القبطي» . .
ذلك أن هذه الشريحة من «أراذل القبط» . كانت بمثابة طبيعة تيار
التغريب ، والاستلاب الحضاري ، والانفصال - الذي سموه «الاستقلال»
- عن ماضى مصر وتراثها وهويتها الإسلامية ، وعن محیطها العربى .

(١) المصير السابق : ج ٥ ص ١٣٤ .

(٢) المصدر السابق : ج ٥ ص ١٣٦ .

والإسلامي... الاستقلال، عن الذات الحضارية، والأخلاق والاتساع
والتبعة للنموذج الغربي، الذي جاء به الفرنسيون الغراة..

وإذا كان المعلم يعقوب اللعين ، قد غادر مصر - هو وأعوانه -
في ركاب الحملة الفرنسية المهزومة ، وعلى ذات السفن التي أقتلت
جنود هذه الحملة . . فإن خيبة هذه الحملة البونابيرية ، لم تجعل
آمال المعلم يعقوب تخيب في أوروبا ! . . فتوجه «بوصيته» - التي
كتبها في مرض موته ، على ظهر السفينة التي أقتلته من مصر -
توجه إلى إنجلترا ، لتحول محل فرنسا ، ولتسعى للسيطرة على مصر ،
والخاقها بأوروبا - بدلاً من الإمبراطورية العثمانية - فكتب في
وصيته عن هذا المشروع يقول :

«تoshak الإمبراطورية العثمانية على الانهيار . ولذا فيهم
الإنجليز ، قبل أن تقع الواقعـة ، أن يلتـمـسـوا لأنفسـهـمـ منـ الوـسـائـلـ
المـؤـكـدةـ ما يـكـفـلـ لـهـمـ الإـفـادـةـ منـ ذـلـكـ الحـدـثـ عـنـدـ وـقـوعـهـ .
فيحققـواـ مـاصـلـحـهـمـ السـيـاسـيـةـ .

وإذا كان من المستحيل عليهم أن يستعمروا مصر - كما
استحـانـ ذلكـ منـ قـبـلـ عـلـىـ فـرـنـسـاـ - فيـكـفـنـ أـنـ تـخـضـعـ مصرـ المـسـتـقـلـةـ
لـنـفـوذـ بـرـيطـانـيـاـ ، صـاحـبـةـ التـفـوقـ فـيـ الـبـحـارـ الـخـيـطـةـ بـهـاـ . . إنـ
برـيطـانـيـاـ لـهـاـ مـنـ سـيـادـتـهـاـ الـبـحـرـيـةـ مـاـ يـجـعـلـهـاـ تـسـأـثـرـ بـتـجـارـةـ مصرـ
الـخـارـجـيـةـ ، وـيـضـمـنـ لـهـاـ بـالـتـالـىـ أـنـ يـكـوـنـ لـهـاـ مـاـ تـرـىـدـ مـنـ نـفـوذـ فـيـهـاـ .
إـنـ مـصـرـ الـمـسـتـقـلـةـ لـنـ تـكـوـنـ إـلاـ مـوـالـيـةـ لـبـرـيطـانـيـاـ . . وـمـنـ ثـمـ فـعـلـىـ
برـيطـانـيـاـ أـنـ تـعـمـلـ عـلـىـ اـسـتـقـلـالـ مـصـرـ ، ، وـهـذـاـ اـسـتـقـلـالـ لـنـ يـكـوـنـ
نـتـيـجـةـ وـعـىـ الـأـمـةـ ، وـنـكـنـهـ سـيـكـونـ نـتـيـجـةـ تـغـيـيرـ جـبـرـىـ تـفـرـضـهـ الـقـوـةـ
الـقـاهـرـةـ عـلـىـ قـوـمـ مـسـالـمـيـنـ جـهـلـاءـ ! . . ولـلـدـافـعـ عـنـ هـذـاـ اـسـتـقـلـالـ . . فـانـ

المصريين يمكنهم أن يعتمدوا على قوات أجنبية تعمل لحسابهم، يتراوح عددها بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ جندي ، يكفون تماماً لصد الترك عن الصحراء ، ولسحق المماليك داخل مصر .. إن أي حكومة في العالم أفضل من الاستبداد التركي^(١)!

فالوصية ، اليعقوبية ، هي باستقلال مصر عن ذاتها الحضارية ، وماضيها وحاضرها الإسلامي ، ومحبطةها القومي والحضاري ، وإخضاعها النفوذ إنجلترا ، لتكون موالية بريطانيا ، التي تستأثر بتجارتها الخارجية .. هذا ، الاستقلال ، الذي تفرضه القوات الأجنبية على المصريين «المسلمين الجهلاء»! .. كما قال المعلم يعقوب اللعين! ..

هكذا تخلقت - على يد الحملة الفرنسية - بواكير الخيانة والاختراق للأمن الوطني والقومي والحضاري ، من خلال ثغرة «الأقليات» .. ولا نزال نعاني من هذا «الإنجاز» الفرنسي حتى الآن .. بل إن موكب الاحتفال الحالى بحملة بونابرت إنما يشى بالامتدادات السراطانية لتراث وأفكار يعقوب اللعين !! ..

● وإذا كنا نشكو من اختراق القانون الغربي لمناطق سيادة الشريعة الإسلامية .. منذ تسلل هذا القانون - في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - إلى «المحاكم القنصلية» .. ثم «المحاكم المختلطة» (١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م) .. ثم عموم بلواه في القضاء الأهلى على يد الاستعمار الإنجليزى - وفي ظل سلطان التورد «كرومر» (١٨٤١ - ١٩١٧) منذ (١٣١٠ هـ ١٨٨٣ م) .. فبان بواكير هذا الاختراق ، الذي زاحم شريعتنا الإسلامية وفقهنا الوطنى ، حتى

(١) د. أحمد حسين الصاوي (العلم بعقوب بين الحقيقة والأسطورة) ص ١٢٣ - ١٢٥
- ملحق رقم ٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦ م

أجلاءها عن أغلب ميادين التحرير والقضاء ببلادنا الإسلامية.. إن بوأكير هذا الاختراق قد كانت من آثار الحملة الفرنسية على مصر..

فبعد هزيمة جيش الحملة ، وجلائه عن مصر .. وبعد موت المعلم يعقوب اللعين - على ظهر السفينة التي أكلته مع جيش الحملة الفرنسية إلى مرسيليا - توجه رفقاء المعلم يعقوب - بقيادة «فراندي» - باسم «الوفد المصري» ١ - توجهوا إلى مرسيليا .. وكتبوا إلى بونابرت، يعرضون عليه العمل على إحلال القانون الفرنسي محل الشريعة الإسلامية في مصر.. فبعد حديثهم عن الولاء لبونابرت، تعهدوا بالتشريع لمصر التشريعات التي ترضي عنها فرنسا... معلنين بذلك ولادة التوجه الفكري - الذي نراه الآن - الداعي إلى إخراق مصر بأورياق النظم والتشريعات .. فقالوا لبونابرت: إن الوفد المصري، الذي فوضه المصريون الآباء عن ولائهم لله، سيشرع لمصر ما ترضاه لها من نظم عندما يعود إليها من فرنسا...^{١١١}

● وإذا كنا نشكو اليوم من الاختراق الديني ، الذي تقوم به الكنائس الغربية ، العاملة في خدمة المخططات الاستعمارية في قلب إفريقيا .. ومن استغلالها المشكلات الاجتماعية ، والمنازعات القبلية ، وال Kovarit الطبيعية - بل وصنعها للك ذلك - حتى تفقد الناس توازنهم ، فيتم تحويلهم عن دياناتهم ومذاهبهم إلى النصرانية الغربية .. إذا كنا نشكو اليوم من هذا الاختراق النصراني الغربي للقارنة الأفريقية - حتى لقد رفعوا شعارا يقول :

(١) المصدر السابق . جن ١٣٠، ١٢٩ - ملحق رقم ٧ .

إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠ م ! - فإن يواكير هذا الاختراق هي صناعة
فرنسية أيضا ! ...

فلقد كان الخاق الكنيسة الأثيوبية - وهي أرثوذكسيّة -
بالكنيسة الرومانية - الكاثوليكية - أحد أحلام لويس الرابع عشر
(١٦٣٨ - ١٧١٥ م) - أراد تحقيقه بواسطة بعض الأقباط المصريين
- أى عن طريق اختراق الكنيسة المصرية - .. فلما فشل في
تحقيقه .. رأينا أتباع المعلم يعقوب اللعين يكتبون إلى وزير
الخارجية الفرنسي «تاليران» (١٧٥٤ - ١٨٣٨ م) يتعهدون بالعمل
على تحقيق مالم يستطيع تحقيقه لويس الرابع عشر ! .. فيقولون :
«لقد كان لويس الرابع عشر يعمل في الظاهر على ضم كنيسة
أثيوبيا إلى الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية) . ولكن كأن يسعى
في الحقيقة لما نفوذه السياسي نحو أقاليم وسط إفريقيا الجذابة
الغامضة . ومن ثم بذل عدة جهود - لم يقدر لها النجاح - لكن
يتعلم في فرنسا عدد من شباب القبط المصريين ، لأن بطريرك
الأقباط هو نفسه رأس الكنيسة الأثيوبية . وإذا كان الم�� قد أخفق
في مسعاه ، فإن الجمهورية الفرنسية اليوم - إذا أرادت - يمكنها عن
طريق الأمة المصرية ، التي ستكون موالية لها ، مد نفوذهان نحو وسط
إفريقيا .. وبذلك تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية^(١) !! .. أى والله !
هكذا عرض رفقاء المعلم يعقوب - وهو ثمرة الاختراق الفرنسي
لوحدتنا الوطنية - عرضوا تسخير مصر وكنيستها الوطنية في
سبيل تحقيق أحلام الاستعمار الفرنسي في الشرق ، وفي إفريقيا
«الجذابة .. الغامضة» - كما قالوا - ! ..

(١) المصدر السابق . ص ١٣٢، ١٣١ - ملحق رقم ٨ - وتاريخ هذه المذكرة ٢٢ سبتمبر
سنة ١٨٠١ م ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢١٦ هـ .

فهل بهذه الاختراقات ، التي صنعها بونابرت وحملته
الفرنسية ، يحتفل الفرانكوفونيون ؟ ! ..

وإذا قالوا : إنهم يحتفلون «بالفكر .. والثقافة» ، لا «بالمدفع
والبارود» .. ففى أي خانة نضع اختراق الوحدة الوطنية .. وبثورة
تيار الإلحاد الحضارى لبلادنا بأوربا .. واستبدال التشريع
الفرنسى - قانون نابليون - بالشريعة الإسلامية .. وتحويل هوية
الأمة - مسلميها ونصاراها - نحو الغرب والتغريب - واحتراق
الكنيسة المصرية ، للوصول عبرها إلى قلب إفريقيا .. فى أي
خانة نضع هذه «الإنجازات» البونابرتية ، إذا لم نضعها فى خانات
«ال الفكر .. والثقافة» ؟ ! ..

لقد انكشفت الوجه .. بل وشاهدت هذه الوجود ! ..

* * *

● ويزيد الطين بلة .. أن سجل العار لحملة بونابرت الفرنسية
لم يقف عند هذا الذى صنعته مصر - والذى اكتفينا فى الحديث
عنه بإشارات إلى المناطق والميادين غير المطروقة وغير المشهورة ..
والذى قد يجادل فيها عبيد الفرنكوفونية ، الذين يحتفلون - فى
ذكرى الاحتلال - بما يرونه «إنجازات إيجابية» لحملة نابليون .. لم
يقف سجل هذا العار - الذى به يحتفلون - عند الاختراق لأمن
مصر الوطنى والدينى والفكري والثقافى .. وإنما تدها إلى اختراق
الأمن القومى العربى أيضا ..

خلق المشروع الصهيوني

• فكما سعت الخملة الفرنسية إلى اختراق الأمان الوطني المصري ، بتحويل نصارى مصر إلى ثغرة اختراق - بدلاً من أن يكونوا لبنة في جدار هذا الأمان الوطني - سعت كذلك إلى تحويل الأقلية اليهودية - في مختلف أنحاء العالم - إلى ثغرة اختراق للأمن القومي العربي ، ودعوتهم إلى مشاركة فرنسا في إقامة إمبراطوريتها الاستعمارية في الشرق ، مقابل اتخاذهم مواطن أقدام لهذا المشروع الاستعماري الغربي على أرض فلسطين ..

أى أن هذا الذى تشقى به ومنه أمتنا العربية والإسلامية الكيان الصهيوني المزروع قراراً في فلسطين ، والذى يسعى للتمدد على الأرض ما بين النيل والفرات . بإقامة إسرائيل العظمى ... إن هذا الذى تشقى به ومنه أمتنا إنساناً مثروعاً فرنسيّاً ، وارتاد ميدان الدعوة إليه بونابرت إبان حكمته الفرنسية على مصر والشام ..

ففي (١٢١٣هـ ١٧٩٩م) ، وأثناء حصار بونابرت لمدينة «عكا» ، أصدر نابليون نداء الشهير إلى الطوائف اليهودية - وهي التي نعمت تاريخياً في الحضارة الإسلامية بما لم تعلم به في حضارة أخرى - أصدر نداءه إلى هذه الطوائف ، داعياً إياها كي تتحالف مع جيشه الغازي ومشروعه الاستعماري ، ل تقوم بدور «ثغرة الاختراق» و «موقع القدم» و «قفاز القبضة الاستعمارية الغربية» ، وذلك مقابل تمكينهم من أرض فلسطين ..

كان بونابرت قد احتل مصر . . وطبع فيما سبق وطبع فيه القديس لويس التاسع : «ان يستعيد البيت المقدس إلى الفرج عن طريق امتلاك الديار المصرية»! . . فأراد أن يستعين على تحقيق ذلك باستخدام ورقة الأقليات اليهودية ، وتراثها الأسطوري حول القدس وفلسطين . . فوجه إليها نداءه ، الذي قال فيه :

«من نابليون بونابرت ، القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في إفريقيا وأسيا . إلى ورثة فلسطين الشرعيين .

أيها الإسرائيлиون ، أيها الشعب الفريد . . انهضوا بقوة ، أيها المشردون في التيه . . لا بد من نسيان ذلك العار الذي أوقعكم تحت نير العبودية ، وذلك الخزي الذي شل إرادتكم لآلفي سنة . . إن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل .. إن الجيش الذي أرسلته العناية الإلهية به .. قد اختار القدس مقر القيادة، وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة، التي استهانت طويلاً بصدقة داود وأذلتها ..

ياورثة فلسطين الشرعيين : إن الأمة الفرنسية . تدعوك إلى إرثكم بضمها وتأييدها ضد كل الدخلاء^(١) !

بهذا النداء البونابرتى ، وذلك «الإنجاز» الذى بدأته الحملة البونابرتية بدأت خيوط المأساة التى تعيشها أمتنا العربية

(١) محمد حسين هيكل (مفاوضات سرية بين العرب وإسرائيل - الأسريرة والإمبراطورية والنولة اليهودية) - الكتاب الأول - من ٣٢٠، ٣١ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٦ م .

والإسلامية .. مأساة اختراق أمن الأمة ، واستنزاف حلقاتها ،
وقطع وحدة وطن العروبة ودار الإسلام ، وضرر مشاريع التقدم
والتحرر والنهوض بالصهيونية وكيانها الإسرائيلي الاستعماري
على أرض فلسطين ..

فالحملة الفرنسية على مصر كانت البداية .. وبونابرت كان الرائد
للهبىونية الحديثة، التي وضفت الأقليات اليهودية في المشروع
الاستعماري الغربي - منذ مائة عام .. وبعد ذلك تابعت القوى
الاستعمارية الغربية السير وراء نابليون وفرنسا .. إنجلترا وإن
قيادتها للمد الاستعماري الغربي على الشرق .. ثم أمريكا التي ورثت
نفوذ وهيبة إمبراطوريات الاستعمار القديم في وطن العروبة وعالم
الإسلام ..

فهل يستحق هذا «الإنجاز» الفرنس، وهذه «الريادة»
البونابيرية، احتفال الفرنكوفونيين؟! أم نقول لهم .. مرة أخرى - :
شاهدت الوجه !؟

* * *

خلق المارونية السياسية والتغريب الثقافي

● وعلى ذات الدرس .. درب الاختراق الفرنسي للأمن القومي العربي والمحمى الحضاري الإسلامي .. تواصلت جهود الاستعمار الفرنسي ..

فالقديس لويس التاسع (١٢١٤ - ١٢٧٠ م) الذي حلم - قبل نابليون - بامتلاك بيت المقدس عن طريق احتلال مصر ، هو الذي بدأ الإمساك بخيط «شراكة - العمالة» مع نفر من «الأقلية المارونية» منذ (٦٤٨هـ / ١٢٥٠ م) ! .. فعندما لقيهم في الشام ، قال : «نحن مقتنعون بأن هذه الأمة (الجماعة) التي تعرف باسم القديس «مارون» هي جزء من الأمة الفرنسية»^(١) !!

وعلى درب لويس التاسع تواصلت خطوات الاختراق الفرنسي لأمننا القومي ، باستخدام قطاعات من الأقلية المارونية - الكاثوليكية كفرنسا - حتى وصل الاختراق حد رفع شعار : «أمننا فرنسا» من قبل قطاع مؤثر من المارونيين ، الذين تحالفوا مع الصهيونية في احتياجها للبنان سنة ١٩٨٢ م - محققين بهذا التحالف أحلام نابليون ! ..

ولقد كان مدارس التبشير والإرساليات الفرنسية الدور الأكبر في هذا «الإنجاز الفرنسي» - حتى قبل الإسهام الاستعماري

(١) محمد السمك (الأقلية بين العروبة والإسلام) ص ٧٤ - وهو ينتهي عن أوثانه :
باب العالى) المجلد الثالث ص ١٠٠

المباشر من خلال معااهدة «سيكس - بيكو» (١٩١٥ هـ ١٣٣٣ م) لتقسيم الولايات العربية العثمانية بين إنجلترا وفرنسا . . . والاحتلال الفرنسي المباشر للشام إبان الحرب الاستعمارية العالمية الأولى . . فمدارس البعثة اليسوعية في لبنان - في القرن التاسع عشر - قد اعتبرت التعليم الذي تقدمه لأبناء الطائفة المارونية أساساً «فتحاً بواسطة اللغة»! . . والقنصل الفرنسي هناك يعتبره «سيطرة عن الشعب» تخلق جيشاً مارونياً يتفانى في خدمة فرنسا! . . أما «بول موفلان» Paul mavelin - أحد كبار اليسوعيين - فيكتب قائلاً : «إن تعليم الناس لغتنا - (الفرنسية) - لا يعني مجرد أن تألف ألسنتهم وأذانهم الصوت الفرنسي، بل إنه يعني فتح عقولهم وقلوبهم على الأفكار وعلى العواطف الفرنسية حتى يجعلهم فرنسيين من زاوية ما.. إن هذه السياسة تؤدي إلى فتح يدك بواسطة اللغة»! . . وفي مذكرة كتبها القنصل الفرنسي بيروت - في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٤١ م - إلى سكرتير الدولة بوزارة الخارجية الفرنسية - بباريس - يقول : « إنه حين نشر في هذا البلد - بواسطة اللغة الفرنسية - التعليم، والأخلاق، والفنون.. فإننا سوف نسيطر على الشعب، وسيكون لفرنسا هنا، وفي كل وقت - جيش متفانٍ! وفي مذكرة أخرى - بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٤٧ م - كتبها القنصل الفرنسي «دي لاتينو» De lattenaud إلى وزارة الخارجية الفرنسية ، يصرح بأن إنشاء المدارس اليسوعية في الشام هو السبيل إلى «جعل البربرية العربية» (!!) تتحنى لا إرادياً أمام الحضارة المسيحية الفرنسية.. (١)

(١) المرجع السابق . ص ٤٧ - وهو ينقل عن (مراسلات القنصل السياسي) - وزارة الخارجية الفرنسية - مجلد ٢

ذلك هو حديثهم - هم عن مدارسهم وثقافتهم وفنونهم .. وعن مفاسدهم من وراء زرعها في المحيط العربي، بواسطة الماروبيين .. فهل بمثل هذا يحتفل المختلفون؟! .

بل إن هذا «الزرع الفرنسي» في صفوف الماروبيين بالشام قد تحدث تأثيراته السامة إلى ما وراء الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هاجر إلى مصر عدد من خريجي هذه المدارس الفرنسية، فأصدروا بمصر صحفاً ومجلات، وأقاموا دوراً للنشر والثقافة، تحول الكثير منها إلى منابر للتغريب والعلمانية والتنكك في العقائد الدينية، ومحاولات استبدال العلوميات بالعربية الفصحى .. أى تفكيك وتوهين مكونات الهوية الحضارية لأمتنا ..

وفي هذا الميدان عمل مثقفون وصحفيون - موارنة - من أمثال أمين شمبل (١٢٤٣هـ - ١٢١٥هـ - ١٨٢٨ - ١٨٩٧م) - أول دعامة استبدال العلوميات بالفصحى - .. وشبل شمبل (١٢٧٦ - ١٣٢٥هـ - ١٨٦٠ - ١٨١٧م) المبشر بالإلحاد عن طريق الدارونية والفلسفية الوضعية والمادية .. وفرح أنطون (١٢٩١ - ١٣٤٠هـ - ١٨٧٤م) داعية العلمانية ، والمفسر لفلسفة ابن رشد (١٣٥٤ - ١١٢٦هـ - ١١٩٨م) تفسيراً مادياً! .. ويعقوب صروف (١٢٦٨ - ١٣٤٥هـ - ١٨٥٢ - ١٩٢٧م) وفارس غر (١٢٧٢ - ١٣٧٠هـ - ١٨٥٦ - ١٩٥١م) وشاهين مكاريوس (١٢٦٩ - ١٣٢٨هـ - ١٩١٠ - ١٨٥٣م) الذين أصدروا مجلة «المقطف» لتدس الشك واللا أدرية والإلحاد بواسطة النظريات العلمية الغربية - ذات الخلقة الفلسفية الوضعية والمادية - كما أصدروا صحيفة «المقطم»، لتكون منبر الإعلام لسياسة الاستعمار الإنجليزي بمصر! ..

وعن هذه المدرسة - المارونية - التي تتلمذ عليها الذين يحتفلون بحملة بونابرت - يقول ابن مصر البار، ونموذج الوطنية الصادقة، والعالم المجدد عبد الله النديم (١٢٦١ - ١٣١٣ هـ / ١٨٤٥ - ١٨٩٦ م)؛ إنهم الأجراء - أضداد مصر والمصريين - المؤسسين للفتن.. والمترددون على أبواب وكلاء الدول الأجنبية بالأكاذيب والأراحيف.. فأصبحوا لا شرقيين ولا غربيين، واتخذتهم أوربا وسائل لتنفيذ آرائهم ووصولها إلى مقاصدها من الشرق، وهي تحثهم على المثابرة على عملهم باسم المدنية، وما هي إلا التوحش والرجوع إلى الحيوانية الحضرة.. لقد بثت حوم أجسامهم في خدمة الأجانب، فانفعلت لها أرواحهم، فكلما حولتها عن وجهتها الغربية دارت إليها، فهي قبلة مصلحتها التي وقفت في معابرها وقوف القانت الوعظاء! (١)

كما يتحدث النديم عن مجلة «المقططف» (١٢٩٣ - ١٣٧١ هـ / ١٨٧٦ - ١٩٥٢ م) - وهي نموذج ومثال المجالس التي تتلمذ عليها الذين يحتفلون اليوم بحملة بونابرت - فيقول عنهم وعنها: «أعداء الله وأبنائه، والأجراء الذين أنشأوا لهم جريدة جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يدینوا بهدين من ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية والترافق الكيماوية، ويرجعون بالكونات إلى المادة والطبيعة، منكري وجود الله الحق.. وقد سرروا بهذه الأباطيل تحت اسم فضول علمية، وما هي إلا محاول يهدمون بها عصوم الأديان! (٢)

(١) مجلة (الاستاذ) الأعداد الرابع والعشرون من ٥٦٤ - ٥٦٧ ، والتاسع والعشرون من ٢٩٠ - ٢٨٨ ، والسابع عشر من ٥١٠ ، والتاسع والعشرون من ١٣١٠ هـ.

(٢) المصدر السابق . العدد التاسع والثلاثين من ٩٢٤ ، ٩٢٣ ض.

أما صحيفـة «المقطم» (٦ - ١٣٠٦ هـ ١٨٨٩ - ١٣٧١)، فلقد وصفـها النـديـمـ بأنـها «الـجـريـدةـ الإـنـكـلـيـزـيةـ الـتـىـ تـصـدـرـ فـيـ مـصـرـ»^(١) .. وـوـصـفـ أـصـحـابـهاـ بـأـنـهـمـ «الـأـجـرـاءـ ..ـ الـخـوـنـةـ ..ـ عـمـلـاءـ الـأـجـانـبـ ..ـ الـذـيـنـ خـانـوـاـ وـطـنـهـمـ وـسـلـطـانـهـمـ وـأـهـلـهـمـ وـخـلـانـهـمـ ..ـ وـذـلـكـ عـنـدـمـادـارـ وـأـحـوـلـ أـبـوـابـ الـإـنـكـلـيـزـ ..ـ وـأـصـدـرـ وـأـجـريـدـتـهـمـ لـشـقـ عـصـاـ الـاجـتـمـاعـ الشـرـقـيـ»^(٢)!

ذـلـكـ هـوـ «الـزـرـعـ الشـقـافـيـ الـفـرـنـسـيـ»ـ فـيـ الشـامـ ..ـ وـهـذـهـ هـيـ اـمـتدـادـاتـهـ الـمـرـطـانـيـةـ فـيـ مـصـرـ ..ـ وـهـىـ «الـمـدـرـسـةـ»ـ الـتـىـ تـتـلـمـذـ عـلـيـهـاـ الـفـرـنـكـفـونـيـوـنـ الـمـعـاـصـرـوـنـ،ـ الـذـيـنـ يـحـتـفـلـوـنـ بـالـحـمـلـةـ الـفـرـنـسـيـةـ،ـ وـالـزـرـعـ الشـقـافـيـ الـذـيـ زـرـعـتـهـ فـيـ وـطـنـ الـعـرـوـبـةـ وـعـالـمـ الـإـسـلـامـ ..ـ

* * *

(١) المصـدرـ السـابـقـ ..ـ العـدـدـ الثـانـيـ وـالـأـرـبعـونـ صـ ١٠٢٩ـ .ـ

(٢) المصـدرـ السـابـقـ ..ـ العـدـدـ التـاسـعـ وـالـثـلـاثـانـوـنـ صـ ٩٣٤ـ .ـ ٩٣٥ـ ،ـ ٩٤٥ـ ،ـ ٩٤٧ـ ،ـ ٩٤٨ـ .ـ

• وعلى الجبهة المغربية أيضاً

• ولا يحسن أحد أن محاولات الاختراق الفرنسية لأمننا الوطني والقومي والحضاري - في الواقع السياسي والفكري - قد اقتصرت على ثغرات الأقليات غير الإسلامية - قبط مصر .. وموارنة لبنان .. واليهود - فلقد عممت محاولات الاختراق هذه حتى الأقليات القومية ذات الأصول العرقية غير العربية .. وكان صنيع الاستعمار الفرنسي مع المسلمين الأمازيغ - وخاصة في الجزائر والمغرب - غودجا لهذا الاختراق - من خلال الفكر والثقافة .. وفي اللغة والقانون ..

فالأمازيغ - الذين يمثلون أكبر الأقليات القومية في الوطن العربي عدداً - ١٤٠٠٠٠٠ (أربعة عشر مليوناً) - أي ضعف عدد كل الطوائف النصرانية العربية الثلاث عشرة - ٧٠٠٠٠٠ (سبعة ملايين)^(١) - حتى وإن لم نأخذ بالأراء التي ترجعهم إلى أصول عربية قديمة - قد جمعهم الإسلام بالعرب في انعقيدة والشريعة والثقافة والحضارة والتاريخ والقيم والأخلاق والعادات والتقاليد.. بل لقد نهضوا بدور بارز في تكوين الدون الإسلامية، والجهاد الإسلامي والفتواحات الإسلامية.. وبسبب من كون العربية لغة القرآن ولسان الإسلام وسبيل فقه الشريعة الإسلامية والسنّة

(١) ديفيستاني ، فيليب فارج (الملايين معلومات العالم العربي) ص ٣١ ، ٣٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤ م.

النبوية، أصبحت العربية هي لغة الأمازيغ الأولى، مع بقاء لغاتهم القديمة - غير المكتوبة - متداولة، تقوم بمقام اللهجات في حفظ الموروث القومي، والمخاطبات في بعض الشئون الحياتية اليومية الدارجة..

ومع ذلك.. وجدنا مخطط الاختراق الفرنكوفوني - للاستعمار الفرنسي - ولغته الفرنسية وقانونه الوضعي، يتخذ من الأمازيغ جبهة من جبهات تفكك الأمة، بعزلهم عن العرب، وفصل إسلامهم عن اللغة العربية، وقطع الصلات بين عقيدتهم الإسلامية وبين الشريعة الإسلامية وفقه العاملات فيها.. وذلك ليربطهم بفرنسا، ول يجعل لغته محل عربتهم، وقانونه محل شريعة الإسلام وقانونها وفقه معاملاتها..

وعن هذا المخطط الفرنكوفوني يقول الكاتب الفرنسي «فيكوربيكية» - في كتابه (العنصر البربرى) - الصادر سنة ١٩٢٥م - : «إننا نشاهد تغلب العربية في السهل ، حيث السكان العرب ، وهذا يمكننا تعليله بأن اللغة البربرية لا تكتب ، وبأن اللغة العربية هي لغة القرآن . وقد لعبت «الكتاب» دورا هاماً في الاستعمار ، ولذلك فان كل مجهوداتنا يجب أن تصب على تعليم البربرية الفرنسية، بلا واسطة لغة أخرى. لقد هيأسنا على تعلم البربرية الفرنسية، بلا واسطة لغة أخرى. لقد هيأسنا ١٩٢٣م للمدرسة برنامجا فرنسياببربريا له روح فرنسية كاثوليكية.. وهذه خطة حسنة لوقف التعامل مع اللغة العربية على أنها لغة التفاهم، ويمكننا بسهولة كتابة البربرية بالحروف الفرنسية، كما فعلنا بالهند الصينية..

وإذالم يمكننا عقد الأمل على رجوع البربر عن الإسلام، ونبذهم لهذا

الدين، لأن جميع المعموب لا تبقى بدون دين في مرحلة تطورها، فيجب أن لا تخشى من ذلك، خاصة إذا تمكنا أن نفصل بين الإسلام والاستعراض.. وفصل الدين عن القانون المدني، مثلما حدث بدخول تغييرات هامة سنة ١٩١٧ م في قانون الأحوال الشخصية.. ولذلك يمكننا أن نحصر الإسلام في الاعتقاد وحده.. وعلى هذا لا يهمنا كثيراً أن تضم الديانة الشعب كله، أو أن آيات من القرآن يتلوها رجالي بلغة لا يفهمونها. فالديانة الكاثوليكية تستعمل اللغة اللاتينية والإغريقية والعبرانية في قداديسها...!

فهدف المخطط الفرنكوفوني لتفتيت الأمة، من باب الثقافة هو: علمنة الإسلام، وفرنسة اللغة، لإحلال القانون الفرنسي محل الشريعة الإسلامية وفقه معاملاتها، وإحلال الفرنسية محل العربية، وبذلك تندمج الأعراف البربرية في القانون الفرنسي، ويصبح الأمازيغ فرنسيون اللغة.. أي يتم دمجهم في الثقافة الفرنسية دمجاً ماماً..

وليست هذه الشمرات والمقاصد بالاستنتاج الذي نستنتجه نحن .. وإنما هي اعترافات الأستاذ الفرنسي للحقوق في معهد الدراسات العليا - «بالرباط» - «جورج سوردون» - بكتابه (مبادئ الحقوق العرفية المغربية) - الصادر بالرباط سنة ١٩٢٨ م - والذي يقول فيه :

«يجب جمع العادات البربرية.. لئلا تضمر محل في الشروع الإسلامي.. إذ العرف ينبع من إزاء القانون.. والأولى أن نرى العرف البربرى يندمج في القانون الفرنسي من أن نراه يندمج في القانون الإسلامي، لأن الأسلحة الفرنسية هي التي فتحت البلاد العربية، وهذا يخوننا اختيار التشرع الذي يجب تطبيقه في هذه البلاد.»

فهل يعى ويفهم الفرنكوفونيون، الذين يزعمون أنهم إنما يحتفون ويحتفلون بشقاقة فرنسا لا بمعانٍ لها.. هل يعون المعنى الواضح لكلمات «جورج سوردون»، والتي تقول إن الأسلحة الفرنسية إنما استخدمت لتطبيق القانون الفرنسي في البلاد العربية.. فقانون نابليون هو الثمرة لما دفع نابليون !!

وهذا الذي كتبه «الأساتذة» و «الكتاب» الفرنسيون .. هو ذاته الذي طبعته السلطة الاستعمارية الفرنسية .. فالمقيم العام الفرنسي - بالغرب - المارشال «ليوتى»، يصدر أوامره إلى وزارة العدل باستبعاد اللغة العربية ، وفك ارتباطها بالإسلام ، لدمج البربر في فرنسا - عن طريق اللغة الفرنسية والقانون الفرنسي - فيقول في أوامره : «إنه خطأ فاحش التصرف بشكل يساعد على إعادة إحياء العلاقة بين العرب والبربر . ولا حاجة في تعليم العربية للبربر، فالعربية هي راند الإسلام، لأن هذه اللغة تعلم من القرآن»، ومصلحتنا هي أن نهض البربر خارج دائرة الإسلام . وأمام ما يتعلق باللغة، فيجب علينا أن نضمن الانتقال مباشرةً من البربرية إلى الفرنسية بدون واسطة ..!^(١)

تلك هي مخططات الاختراق الفرنسي لأمننا الفكري والثقافي - في الدين والدنيا - على المستوى الوطني والقومي والحضاري .. فما يترى هذه «الثقافة المجردة» - الحالصة من شبكات الغزو وال الحرب - التي يحتفل بها الفرنكوفونيون ؟ ..

* * *

(١) د. محمد عمارة (الإسلام والتعددية : التنويع والاختلاف في إطار الوحدة) ص ٢٧٦ - ٢٧٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧ م .

— خرافات المطبعة .. والمجمع العلمي —

وإذا كنا قد كشفنا خرافات الإنجازات السياسية والإدارية والديمقراطية التي يزعم الفرنكوفونيون أن بونابرت قد أدخلها إلى مصر - بما أنشأ من «ديوان المشورة» - عندما كشفنا - نقاً عن الجبروني - أن هذه المؤسسات كانت أداة القمع الفرنسي ، التي غلب في عضويتها «أراذل القبط» و«النصارى الأرورام» الذين خانوا وطنهم مصر - .. فإن مزاعم الفرنكوفونيين حول «المطبعة» التي جاء بها بونابرت إلى مصر .. وكذلك «المجمع العلمي المصري» الذي أسسه ببلادنا .. إن هذه المزاعم هي ألوان من الخرافات التي لا أصل لها في التاريخ ..

في بونابرت - وهو في طريقه إلى مصر - «حضر معه مطبعة» البر وباحدا من إيطاليا، ليطبع بها بيانات التضليل للشعب المصري، تلك التي زعم فيها أنه مسلم أكثر من المالكين، ونصر خليفة المسلمين، على عكس المالكين! .. ثم خرجت هذه المطبعة من مصر بخروج الحملة الفرنسية،^(١) فلم يكن لها أي أثر ثقافي يبرر احتفال الفرنكوفونيين! ..

أما المطبعة التي نهضت بالدور الريادي في ثقافة مصر العربية والإسلامية مطبعة بولاق - الأميرية - فهي التي فكر محمد على باشا (١١٨٤ - ١٢٦٥هـ ١٨٤٩ - ١٧٧٠م) في إنشائها^(٢) (١٨١٥م) واحتراها

(١) د. جمال الدين الشهاب (تاريخ الترجمة وأخر حركة الثقافية في عصر محمد على) ص ١٩٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٥١م.

من مال الدولة المصرية، وبدأ إنتاجها - على الأرجح - ١٢٥٥هـ (١٨٣٠م) وهي مطبعة وطنية.. أميرية.. قامت في بولاق.. ولا علاقة لها بمطبعة «البرو باجند» التي جلبها نابليون من الفاتيكان، ليُضلّل المصريين بمنشوراتها..

فهل يحتفل الفرنكوفونيون بمطبعة «البرو باجند»، وما مصدر عندها من أضاليل؟! ..

أما «المجمع العلمي المصري»، الذي يزعم الفرنكوفونيون أن نابليون قد أسمى.. فإنه - هو الآخر - خرافات من الخرافات.. فالبعثة العلمية الفرنسية التي صاحت جيش الحملة البونابيرية، قد جاءت لتدرب الواقع المصري، حتى يستطيع الفرزاة حكمه.. ولتدرب الشخصية المصرية، حتى يسهل على المستعمرين السيطرة عليها.. ثم انسحبت هذه البعثة - مع جيش الاحتلال (١٢١٦هـ/١٨٠١م) .. ولا علاقة لهذه البعثة الفرنسية - التي واصلت أبحاثها بعد الجلاء في فرنسا - لا علاقة لها، بالمجمع العلمي المصري، على الإطلاق.. فالمجمع العلمي المصري هو مجمع وطني، قام في سنة ١٨٥٩م - على عهد الخديوي سعيد (١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) أي بعد ما يقرب من ستين عاماً على جلاء الحملة الفرنسية والبعثة العلمية الفرنسية التي صاحت بها! ..
فبأى مطبعة.. وبأى مجمع يحتفل الفرنكوفونيون؟! ..
وبأى ثقافة يحتفون؟! ..

لقد كان الدكتور طه حسين (١٢٠٦ - ١٣٩٣هـ/١٨٨٩ - ١٩٧٣م) شجاعاً، عندما اعترض - في لحظة صدق مع واقع التغريب - بأن التبعية

(١) المصدر السابق، ص ١٩٥.

الفكرية لأوريابي «اللزم، أكثر منها التزام، أو اختيار.. فقام في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) - الذي ألفه عقب معااهدة سنة ١٩٣٦ م - بين مصر وإنجلترا - ومعاهدة الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٨ م ..

لقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع. التزمنا بهذا كله أمام أوربا. وهل كان إمضاء معااهدة الاستقلال - (١٩٣٦ م) - ومعاهدة إلغاء الامتيازات - (١٩٣٨ م) - إلا التزام مصر بحاقطها أمام العالم المتحضر بأننا نسير سيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع؟ .. (١)

ولقد بدأ هذا الإلزام بحملة بونابرت .. وما أحدثه من اختراقات لأمننا الوطني والقومي والحضاري - في الفكر .. والثقافة .. والقيم .. والتشريع .. واللغة .. والأخلاق - ..

ويشهد على ذلك أيضاً أن الفرنكوفونين - الذين يختلفون بهذا الاختراق البونابرتى .. إنما يصنعون ذلك لأن ثقافتهم هي عين ثقافة هذا الاختراق .. فهم امتدادات سرطانية لهذا الاختراق الذي به يحتفون ويحتفلون ! .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..

لكن العزاء هو في رفض الأمة لهذا الانحدار ، الذي سقط فيه خلفاء «المعلم يعقوب اللعين» !

(١) (مستقبل الثقافة في مصر) ج ١ ص ٣٦ ، ٣٧ . طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨ م ..

أوراق ووثائق الاختراق

- ١- «الإعلان - الإنذار» الموجه من بونابرت إلى المصريين ..
- ٢- جيش الخيانة الوطنية : - (وصف الجنرال للفيلق القبطي، الذي كوته وقاده المعلم يعقوب).
- ٣- رثاء الخيانة للاحتلال: القصيدة الزجلية التي رش بها المعلم يعقوب الجنرال الفرنسي «ديزيه» ..
- ٤- وصية الجنرال يعقوب بتوجيه مصر لإنجلترا - بعد فشل الحملة الفرنسية - ..
- ٥- إعلان الولاء لبونابرت: رسالة رفاق الجنرال يعقوب إلى بونابرت - عارضين الولاء والخدمات ..
- ٦- اختراق إفريقيا بواسطة مصر: رسالة رفاق الجنرال يعقوب إلى وزير الخارجية الفرنسي ..
- ٧- واحتراق منظومة القيم: وصف الجنرال لطرف مما أحدثه الحملة الفرنسية على جبهة القيم الإسلامية والشرقية ..

١- إعلان بونابرت إلى المصريين

(كانت باكورة مطبوعات مطبعة «البروباجندا» - التي جاء بها بونابرت إلى مصر - والتي يزعم الفرنكوفونيون أنهم يختلفون بإنجازاتها في تنوير مصر والمصريين - هذا الإعلان الإنذار ، الذي وجهه بونابرت إلى المصريين عند بدء احتلاله لديارهم .. وجميع ما في هذا الإعلان : أكاذيب : وتهديد ووعيد ..

● ففى الوقت الذى لم يستطع فيه بونابرت إخفاء حقيقة أن عداءً للمالك المصرية إنما سببه الضرائب التي كانوا يحصلونها من التجار الفرنسيين - فهم يتعاملوا بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية، ويظلموا تجارها بأنواع البُلْص (الإتاوات) - والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبته - ١

وهو اعتراف منه بجانب من الأسباب الاقتصادية لحملة ..

● تراه يزعم أن عزوه هذه إنما هي تنفيذ للقدر الإلهي - فرب العالمين، القادر على كل شيء، قد حتم على انتقامه دولتهم - (أى دولة المالك) - ..

● وعندما كذب بونابرت كذبته الكبرى - في هذا الإعلان - فزعم : أنه ، والفرنساوية مسلمين خالصين .. وأنه أكثر من المالك، يعبد الله . سبحانه وتعالى . ، ويحترم نبيه محمد، والقرآن العظيم .. كشف المصريون - بالفطرة الإسلامية - رغم عدم اطلاعهم يومئذ على الفلسفات الأوروبية - كشفوا «وضعيّة .. ومادية ..

وذهبية .. والحاد» بونابرت وحملته وفكريه الدولة الفرنسية .. فقال الجبرتي - معلقا على كذبة بونابرت هذه - : «لاشك أن هذا خبل في العقل، وغلو في الجهل، أي عبادة - فضلا عن كثرتها مع كفر غطى على فؤاده، وحجبه عن الوصول إلى رشاده؟! ولو احترم نبينا لا حترم أمته .. إن إسلامهم نصب .. ولقد خالفوا النصارى والملائكة وهم ذهريه مخططون، وللمعاد والخشر منكرون، وللنبوة والرسالة جاددون»^(١) .

و «المصحح - المبكي» ، أنه في الوقت الذي كانت فيه مطبعة بونابرت تحدث المصريين - لتخدعاهم - عن «إسلامه ، وعبادته لله ، واحترامه لنبي الإسلام ، وقرآن العظيم» .. كانت ذات المطبعة تطبع - في صحف الحملة الفرنسية - الأشعار التي تتحدث عن بونابرت باعتباره «الإله» الذي يقود جيشا من الأبطال .. والذى لا بد لآلهة الأخرى أن تطأطئ له الرؤوس ! .. ففى قصيدة «الموطن جالان» يتحدث عن بونابرت فيقول :

«من هو هذا الإله الذى يتقدم، ويندفع كالبرق فى الممرات الخالدة،
ف يجعلنا نؤمن بالوهم والخيال ..

يا ألهة اليونان وروما طاطنوا رؤوسكم الشامخة ..
أيها القزاة القدامى، لقد كان تعطشكم للمجد وحده هو الذى يقودكم إلى النصر ..

أما بونابرت فله وحده ينبغي تقديم القراءين ..

(١) (مظہر انتقادات بیروتی دولة الفرنگیہ) ص ٢٤ تحقیق : حسن محمد جوہر .
وعمر الدسوقي . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩ م .

فهو الله يقود جيوشاً من الأبطال^(١)

• فإذا كان بونابرت لم يدع الألوهية في المنشورات التي وجهها للشعب المصري . . فلقد أدعى أنه مبعوث العناية الإلهية ، الذي تحدثت آيات القرآن عن حملته على مصر ! . . لقد افترى فزعم أنه علام الغيوب ، الذي يعلم سرائر النفوس والقلوب ! . . فخاطب المصريين وقال :

«أيها العلماء والأشراف . أعلمكم وأمتك أن الذي يعاديني ويخاصمني إنما خاصمه من ضلال عقله وفساد فكره . فلا يجد ملجاً ولا ملذاً ينحيه منه في هذا العالم ، ولا ينجو من يد الله لمعارضته لمقدار الله سبحانه وتعالى . والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله وإرادته وقضائه .. والقرآن العظيم صرخ في آيات كثيرة بوقوع الذي حصل ..

واعلموا أيضاً أنى أقدر على إظهار ما في نفس كل واحد منكم ، لأنني أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما أراه .. إن كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم الله لا يُرَد ، وإن اجتهاد الإنسان غاية جهده لا يمنعه عن قضاء الله الذي قدره وأجراه على يديه !!

ولقد وصف الجبرتي هذا «الافتراء البونابرتى» فقال : «إنها تمويهات على العقول ، وتسلّق على دعوى الخواص من البشر ، بفاسد التخيلات التي تناهى على بطلانها بديهية العقل ، فضلاً عن النظر»^(٢)

* * *

(١) صلاح البستانى (صحف بونابرت في مصر) ج ٢ ص ٣٢٠ . طبعة القاهرة

(٢) (عجائب الآثار) ج ٥ ص ٤ - ٦ .

هذا عن أحد نماذج الكذب والشرك والهرطقة فيما طبعته
مطبعة حملة بونابرت في مصر ..

● أما عن الإنذارات والتهديدات واللوان الوعيد .. فيكفى أن
تعرف أن بونابرت قد طلب من المدن والقرى المصرية ، التي تمر بها
جيوش الحملة ، والواقعة على مسافة مسيرة ثلاثة ساعات من
طرق مرور الجيوش - أن تعلن استسلامها وخضوعها ، برفع الأعلام
الفرنسية - «تنصب السناجق الفرنساوية ، الذي هو أبيض وكحلي
وأحمر» - وأن جزاء المقاومة ، وعدم إعلان الاستسلام هو الحرق
بالنار ! «فكل قرية تقوم على العسكرية الفرنساوية تتحرق بالنار ! .. بل
إن مقابر الموتى لم تسلم من الهدم ، خوفاً من تترس المغاربة بها ! ..
كما يقول الجبرتي (٤) .

ولأن مصر لم تستسلم .. ولم ترفع رايات الخضوع ، و«تنصب
السناجق الفرنساوية» .. فلقد كان مرور جيش بونابرت يتم بين
قرى مدمرة ومحروقة ، على امتداد مسيرة ثلاثة ساعات ، عن
اليمين وعن الشمال !!

وعلى امتداد سنوات الاحتلال الثلاث .. ثارت أغلب القرى
والمدن المصرية .. وطبق الفرنسيون هذا الوعيد - الذي جاء
بإعلان الذي كان باكورة مطبعة نابليون ! - ..

* * *

أما النص الكامل لهذا الإعلان - الإنذار - فهو :

(٤) (مظاهر التقديس) ص ٤٢٣ .

من طرف الجمسيور الفرنساوي ، المبني على أساس الحرية والتسوية ، السر عسکر^(٥) الكبير بونابرت ، أمير الجموش الفرنساوية . يعرّف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد السنافق^(٦) الذين يتسلطوا في البلاد المصرية يتعاملوا بالذى والاحتقار في حقَّ الله^(٧) الفرنساوية ويظلموا بتجارها باتواع البصر^(٨) والتعدى فحضر الان ساعة عقوبتهم .

وحسنا ، من مدة عصور طويلة هذه الزمرة الماليك الجلوبيين من جبال الأبازا^(٩) والكرجستان^(١٠) يفسدوا في الإقليم الأحسن الذي يوجد في كرة الأرض كلها ، فاما رب العالمين قادر على كل شيء قد حتم على انقضاد ولتهم .

يا أيها المصريين . قد يقولوا لكم إنني ما نزلت في هذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم ، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا للمفتقرين : إنني ما قدمت إليكم إلا لكيما أخلص حنكم من يد الطالبين وابني أكثر من الماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمد و القرآن العظيم .

(٥) أي العائد العام . وكانت تكتب - أحيانا - نماري عسکر و «صارى عسکر» والصارى : العمود الذي يرفع عليه العلم .

(٦) مفردتها «ستنق» تطلق على الإقليم .. وعلى حاكمه ..

(٧) الله : الأمة .. (٨) مفردتها : بلضة .. وهي الإناثة ..

(٩) أي قبيلة «أباطة» التركية . (١٠) الكرج : قرى جورجيا الحالية : يوسط أب

وقلوا أيضًا لهم : إن جميع الناس متساوين عند الله ، وإن الشئ الذى يفرقهم من بعضهم بعضاً فهو العقل والفضائل والعلوم فقط . وبين المماليك ما العقل والفضائل والمعرفة التى تميزهم عن الآخرين وتستوجب أنهم يتسلكوا وحدهم كلما ^(١١) يحلوا به حيات ^(١٢) الدنيا .

حينما يوجد أرض مخصبة فهى مختصة للمماليك ، والجوارى الأجمل والأخيل الأحسن والمساكن الأشهى فهذا كله لهم خاصاً . إن كانت الأرض المصرية التزام ^(١٣) للمماليك فليوزرون الحجت ^(١٤) التى كتبها لهم الله ، فلتكن رب العالمين هو رؤوفاً وعادل على البشر ، بعونه تعالى من اليوم فصاعداً لا يستثنى أحداً من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعنى اكتساب المراتب العالية ، فالعقلاء والفضلا والعلماء بينهم سيدبروا الأمور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها .

سابقاً فى الأراضى المصرية كانت المدن معظمها ، والخليجات ^(١٥) الواسعة والمتجر المتکاثر ، وما أزال ذلك كله إلا الضم وظلم المماليك .

إيها القضاة ^(١٦) والمشائخ والأئمة (الائمة) وبأيها

(١١) أي : كل ما .

(١٢) أي : حياة .

(١٣) الالتزام : شكل من اشكال الاستغلال الإقطاعى للأرض ، ظل سائداً حتى عصر محمد على باشا

(١٤) أي حجة ووثيقة الالتزام والاختصاص .

(١٥) أي الخليجان . الأراضى الخصبة التى كانت قبل زراعتها خليجاناً ، تجربى فيها المياه .

(١٦) إى القضاة .

الشوريجية^(١٧) وأعيان البلد ، قولوا لأمتكم : إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمين خالصين^(١٨) ، وإثباتاً لذلك قد نزلوا في رومية الكبيرة وخربوا فيها كرسى البابا الذي كان يبحث دايماً النصارى على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالييرية^(١٩) الذين كانوا يزعموا أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين . ومع ذلك الفرنساوية في كل وقت من الأوقات حسروا الخبيثين الأخلصين لحضرته السلطان العثماني ، وأعدوا أعدائه^(٢٠) ، أadam الله ملوكه .

وبالملووب المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممثلين لأمره فما طاعوا أصلاً إلا لطبع أنفسهم .

طوبى ثم الطوبى لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم ويعلى مرأتهم طوبى أيضاً للذين يقعدوا في مساكنهم غير مأيلين لأحد من الفريقين المحاربين فإذا عرفونا بالأكثر يتشارعوا إلينا بكل قلب .

لكن الويل ثم الويل للذين يتحدون مع المماليك ويساعدوهم في الخرب علينا فلا يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى منهم أثر .

المادة الأولى

جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاثة ساعات عن الموضع التي يصر بها العسكر الفرنساوي فواجب عليه أنها ترسل للسر العسكرية

(١٧) مفردها : شوريجي ... وهم الوجهاء .

(١٨) أي مخلصين وصادقين .

(١٩) هم فرسان القديس يوحنا ، طائفة ثامت بعد اخروب الصليبية ، اخترعوا القرصنة والاعتداء على تجارة المسلمين وأملاكم .

(٢٠) أي : الأكثر عداء لأعداء السلطان .

بعض وكلام من عندها الكيما يعرّفوا المشار إليه أنهم طاعوا وأنهم نصبوا
الستجاق الفرانساوى الذى هو أبيض وكحلى وأحمر^(٢١)

المادة الثانية

كل قرية التى تقوم على العسكر الفرانساوى تنحرق بالنار .

المادة الثالثة

كل قرية التى تطيع العسكر الفرانساوى الواجب عليها نصب
الستجاق الفرانساوى وأيضاً نصب ستجاق السلطان العثمانى
محبنا ، دام بقاء .

المادة الرابعة

المشائخ فى كل بلد ليختتموا حالاً جمیع الأزرق والبيوت
والأملاك بتاع الممالیک ، وعليهم الاجتهد الزايد لكيلا يضيع أدنى
شي منها .

المادة الخامسة

الواجب على المشائخ والقضات والأئمة أنهم يلزموا وظايفهم ،
وعلى كل واحد من أهالى البلد أنه يبقى فى مسكنه مطمئن ،
و كذلك تكون الصلات^(٢٢) قائمة فى الجوامع على العادة ، والمصريين
بأجمعهم ليشكروا فضل الله سبحانه وتعالى من انفراط

(٢١) أى رفعوا العلم الفرنسي ، إعلاناً للخضوع وعدم المقاومة .

(٢٢) أى الصلة .

دولت^(٢٢) الملك قايلين بصوت عالى : أدام الله إجلال السلطان العثمانى ، أدام الله إجلال العسكر الفرانساوى ، لعن الله المعالىك ، وأصلاح حال الأمة المصرية .

تحرير بمعسكر إسكندرية فى ١٣ من شهر مسيidor سنة ٦ من إقامة الجمھور الفرانساوى ، يعنى فى أواخر شهر محرم سنة ١٢١٣^(٢٤) هجرية .

أى دولة .

(٢٤) كان وصول جيش بونابرت إلى الإسكندرية - ولذاعة هذا البيان - فى ١٧ محرم سنة ١٢١٣ - الموافق أول يوليو سنة ١٧٩٨ م - انظر : (النوفيات الإنھامية فى مقارنة التواریخ الیھجیریة باتسیں الافرنکیة والقبطیة) لحمد محتمار باشا .

ص ١٢٥ درامة وتحقيق : د محمد عمارة ، طبعة بيروت سنة ١٩٨٠ م

(ولقد رحعنا فى نص «الإعلان» إلى ملاحق كتاب «المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة» ص ١٠٥ - ١٠٨)

٢- جيش الخيانة الوطنية

(وإذا كانت مصر قد عرفت الكثير من الغزوات والغزاء .. ولم تعدم أن يرق أحد من أبنائها عن الوطنية ، فيميل إلى هؤلاء الغزاة .. فإن الاختراق الفرنسي لأبناء الطوائف غير المسلمة قد بلغ بالخيانة حداً غير مسبوق في تاريخ مصر والمصريين .. فلقد تكونت للخيانة «فيالق» عسكرية ، حاربت الشعب مع جيش الاحتلال .. حدث ذلك من «أرادل القبط» - الذين قادهم المعلم «يعقوب حنا» - .. ومن النصارى الأرثوذكس .. والنصارى الشوام - الذين قادهم أمثال «ملطى» و «فرط الرمان» ! - ..

ولقد صور الخبراء القلعة العسكرية المحسنة ، التي أقامها «يعقوب اللعين» بقلب القاهرة ، مقرًا لقيادة الفيلق القبطي ، الذي جنده ، وقاده مشاركًا به في فتح مدن وقرى الصعيد .. صور الخبراء ذلك ، فقال :

ومنها - (أى ومن أحداث هذه المحنـة) :

أن يعقوب القبطي اللعين ، لما تظاهر مع الفرنساوية ، وقلدوه ، صارى عسكـر القـبـطـة ، جـمـع شـيـان القـبـطـة ، وحلـق لـحـامـه ، وزـيـاهـم بـزـىـهـمـهـ ، مـشـابـهـ لـعـسـكـرـ الفـرـنـسـاـوـيـةـ ، مـمـيـزـاـعـنـهـمـ بـقـبـيـعـاتـ يـلـبـسـونـهـاـ عـلـىـ رـؤـوسـهـمـ ، مـشـابـهـ لـشـكـلـ البرـيـطـةـ ، وـعـلـيـهـاـ قـطـعـةـ فـرـوـةـ سـوـدـاءـ منـ جـلـدـ الغـنـمـ فـيـ غـاـيـةـ الـبـشـاعـةـ ، مـعـ مـاـ يـضـافـ إـلـيـهـاـ مـنـ قـبـحـ صـورـهـمـ ، وـسـوـادـ

أجسامهم، وزفارة أبدانهم، وجعلهم عسكراً وعزوته، وجمعهم من أقصى الصعيد.

وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى التي هو ساكن بها - خلف الجامع الأحمر - وبنى له قلعة، وسوراً لها بسور عظيم، وأبراج، وباب كبير، يحيط به بدنات عظام.

وكذلك بنى أبراجاً في ظاهر الحارة، جهة بركة الأزبكية، وش جمِيع السور المحيط والأبراج طيقان للندافع وبنادق الرصاص - على هيئة سور مصر، الذي رمَّه الفرنساوية - .

ورتب على باب القلعة، الخارج والداخل، عدة من العتكر الملازمين لتوقيف ليلاً ونهاراً، وأيديهم المسادق، على طريقة الفرنساوية ..^{١١١}

(١) (مظهر التقديس) ص ٣١٢، ٣١١.

٣- رثاء الخيانة للاحتلال

(.. وإذا كانت الخيانة ، التي أوجدتها ورعتها الحملة الفرنسية في مصر ، قد مثلت اختراقاً للوطنية والأمن الوطني ، في صورة «الفيلق القبطي» ، الذي قاده «المعلم يعقوب حنا» والذي شاركَ أخويش الفرنسي - تحت قيادة الجنرال «ديزيريه» - في فتح وهدم وإحرق مدن وقرى الصعيد ، وقتل الأحرار ، واغتصاب الحراائر .. فإن هذه الخيانة قد بلغت بالعلم يعقوب - الذي يرى فيه المتغربون والفرانكوفونيون رائد «الاستقلال» المصري !! - حد الرثاء المنشوله للضابط الفرنسي الجنرال «ديزيريه» - عندما قتل بإيطاليا سنة ١٨٠٠ - فرثاه يعقوب بقصيدة من الرجل الركيك ، تحدث فيها عن «بطولته» و«شجاعته» في «اخضاع وترويض البربر»، أعداء الله والبشر، من أهل مصر !! .

وهذا هو نص الرثاء - الذي يستحق الرثاء - !) .

إنا لله وإنا إليه راجعون

الحمد لله محرك آلات الألسن والأواني ، بانغام اللغات الدوامس^(١) ، وكاشف الغطاء الدلامس^(٢) ، عن الآثار الدوارس^(٣) . نحمدك حمنا وشكراً لاثقاً به مبدع وخلق ، برأي المبرورات والخلائق ، مكّور الأرض والسموات ، يصور الأحياء والأموات ، مميز

(٢) المظالم ،

(١) الخفية . والآنس .: هو الدفن والإخفاء .

(٣) التي درست ، فلم يعد لها وجود .

النفائس من الخسائس . فلا إله غيره ، ولا خير إلا خيره ، وهو
الملك والسياس أمين .

وبعد ، فهذا دعاء جليل سديد ، به ننتصب وفات ^(٤) عزيزة ،
الجنرال داسة ^(٥) صاحب الأمير يعقوب ، سارى عسكر القبط
الجديد ، فيقول

أذرقنا على ذكر الحبيب دموعا
سكتنا بها ليوم البعث والحضر
حبيب وقد ذاع صيته أبدا
بطل وقد عرف في سائر القطر
فتلالات شجاعته وعقله ثم فطنته
وشرح احتقاره الدنيا بالنظم والنسرين ^(٦)
وقد فاز بها على الملائكة إجمالا
ظافر يارقابهم ^(٧) نصرا بالعز والقهر
وأنهض شامخ جماعة البربر
مرؤضا أخلاق أهل إقليمنا ^(٨) المصر

(٤) أي : وفاة .

(٥) الجنرال (ديزيريه) .

(٦) أي : الشتر .

(٧) المراد : الرقاب ، جمع رقبة .

(٨) لا يخجل المعلم يعقوب من جعل إخضاع أهل مصر وترويضهم فضائل الجنرال
ديزيريه ... ويزيد على ذلك فيصف أهل مصر بالبربر ا

بل وأهل تيبايس^(٩) المثمرة فمن
 كان قاطنا بالبر ثم والقفز
 فاعجب من كان محبوبا ثم مرغوبا
 حتى ومن كان لهم بالحرب والقهر
 دامسه قائم بلادنا بناحية قبلى
 يضرب ويشفي ولا يدنو إلى الغدر
 صنديد مجاهد وخصم محارب ولكنه
 طبيب مداوى الجراح بالزست والخمر
 فآها على ناصري داسه وواأسفى
 على اصطحابي به لو قدر القدر
 فكنت أرحب وجودي بميدانى مارنجوا^(١٠)
 كما رافقته قبلاً بضم عيدها المصرى
 فكنت أرجو وجودي لمعاونة عزى
 كما صاحبته قبلاً بالعز والنصر
 فمررت عنده فداءً كان يغتبه
 عن فقد حياة مفيدة ذكرها دهر
 أمسوت عن من حياته دوامها نفع
 ودوامها خير عام والفخر والظفر

(٩) أهل طيبة - أي الأقصى - بضم عيدها مصر - ينبع بذلال عاصمة مصر الفرعونية !

(١٠) مكان المعركة التي تناهى فيها ديزينيه - بإيطاليا - سنة ١٨٠٠ م.

ولكن وان مات فهو حي وما
 زال ذكره من دهر إلى دهر
 ولم يزل بفكري مخلداً أبداً
 حتى إلى خروج الروح من صلبي
 وظل نفسي الجميلة محتفاً أنواراً
 متديراً بالتساع^(١١) فضاء الجو كالقمر
 فيصطبب مع الأقدمين مشتركاً
 يمتزئنا ببهاء أشعة الحب للبشر
 ويشاهد علينا برج حظ بونابارته
 وما خصه الله من العظيمات والقدرات
 وبانتحاد^(١٢) صرخ وبهذا القدر مستغرب
 يرجف اليرير أعداء الله والبشر
 فيحصل الخير وينجح أهل مشرقنا
 ويعود النظام وترا^(١٣) النفع قد صدر
 فيما من قطن ببلدة الأحياء والقبطة
 ونفسك هناك تحضى^(١٤) داخل الخدر

(١١) أي يستدير حوله القضاء ، وهو مركبة - كالقمر - .

(١٢) أي اتخذ ... وعموم المعنى يقل في ضوء حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن « برج حظ بونابارته » ... ففيه إشارة لاصطفاحات في آرای الحفاظ .

(١٣) أي ثوري .

(١٤) أي : تحضى ،

جُد على بلحظ العين مترأفا
 وانظر إلى بأسنى برقة البصر
 فانظر إلى شعيبنا وشقاء حالي
 فغدت حياتنا لا تخلو من الكدر
 لاحظ المصريين وكيف كانوا قدما
 (١٥) وعبيدا غدوا الآن للرق والبسر
 فكم كنت تعجب أنت من مفاحرهم
 وتباس (١٦) القديمة يعلق ذكرها الخبر
 فمنك نرجو الشفاعة يا مغضض الأول
 فبلا تدع مصرنا السابق القاهر
 ومن بعد حكم الفرنسيين أعواما
 فلا تسبّها حاكم يسوس بالقسر
 وإذا خُلِيت (١٧) يصلح عام منتقلة
 من يد ليد حاكم متعجرف ومفبر
 فمتك طلبه العيون ياداسه ياجمعنا
 واسمه بباريس حمانا ياشائع الذكر
 فبنا اعتنى لدواهنا بناحية قبلى
 لنجوا بحياتنا من الموت والحضر

(١٥) أي : الأسراء .. (١٦) أي طيبة - الأقصر - ..

(١٧) أي جلا عنها جيش الحملة الفرنسية .

فتنفذ بنيك^(١٨) من كل نائبة
 فإنهم بأعذائهم في أعظم الخطير
 والآن غضبهم تفاقم ضد أمتنا
 ولحبنا الفرنسيس قصدهم نسكن القبر
 ومحبتنا للفرنسيس فلابد عنها
 لأنهم اعتقونا من الأضرار والشر^{١٩}
 ثم انتهي سقالى إليك ياربى
 تجزى لداسه أعماله بالخير والأجر^(٢٠)

(١٨) يتحدث حي المقربين باختبرهم أبناء يختير (ادميري)، .

(١٩) اعتذلا في هذا النص على ملائقي كتاب (العلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة)
 ص ١١١ - ١٠٤

٤- وصية يعقوب بتبغية مصر لإنجلترا

(.. أما وصية المعلم يعقوب إلى إنجلترا ، لتعمل على أن تخل محل فرنسا - بعد فشل حملة بونابرت - في إخضاع مصر لتبغيتها ، والسيطرة على ثروتها ، وعزلها عن هويتها الحضارية ؛ وأمتها العربية والإسلامية ، واستخدام القوة الأجنبية في هذا الإخضاع ..

وهي الوصية التي رفعها إلى وزير البحريـة البريطانيـة « الإـيرـل سـانـ فـنـسـنـتـ » ، بـواسـطـة القـبـطـانـ « أـدـمـونـدـسـ » - قـائـدـ الفـرقـاطـةـ « بـالـاسـ » - التـىـ أـقـلـتـ يـاقـوـبـ وجـنـودـ الـحـمـلـةـ الفـرـنـسـيـةـ منـ الإـسـكـنـدـرـيـةـ إـلـىـ مـرـسـيلـيـاـ ..

فـهـذـاـ هـوـ نـصـهـ ()

مـذـكـرـاتـ مـرـفـوعـةـ لـلـقـبـطـانـ جـوـزـيـفـ إـدـمـونـدـسـ لـتـذـكـيرـهـ مـسـتـقـبـلاـ
بـالـنـقـاطـ الرـئـيـسـةـ لـأـحـادـيـثـنـاـ السـيـاسـيـةـ عـلـىـ ظـهـرـ سـفـينـتـهـ

- ١ -

إنـ الـكـتـابـ المـرـفـقـ بـهـ هـذـهـ المـذـكـرـاتـ مـوـجـهـ إـلـىـ فـخـامـةـ الـلـوـرـدـ () .

(١) أـيـ اللـوـرـدـ « كـيـتـ » ، الرـئـيـسـ الـبـاـشـرـ لـلـقـبـطـانـ « إـدـمـونـدـسـ » . وـجـدـيـرـ بـالـذـكـرـ أـنـ هـذـاـ النـصـ هـوـ حـصـيـلـةـ أـنـكـارـ (يـاقـوـبـ حـنـاـ) ، تـرـجـمـهـاـ مـرـاقـقـ لـهـ عـلـىـ السـلـيـنـيـةـ (بـالـاسـ) اـسـمـهـ « لـاسـكـارـيـسـ » ، وـصـاحـبـهـ الـقـبـطـانـ « إـدـمـونـدـسـ » . وـلـقـدـ رـجـعـنـاـ قـيـهـ إـلـىـ مـلـاحـقـ كـتـابـ (المـلـمـ يـاقـوـبـ بـيـنـ الـحـقـيقـةـ وـالـأـسـطـوـرـةـ) صـ ١٢١ - ١٢٧ .

وهو يبدو للوهلة الأولى مجرد التماس بسيط يرجوه أن يهتم بنا نحن المصريين التعماء . ولكن من الضروري في الحقيقة أن ينظر إليه على أنه ملخص للأحاديث السياسية التي دارت بيننا على ظهر السفينة .

ولما كان من عدم التبصر في الوقت الحاضر عرض خطتنا بشكل أكثر تفصيلا ، فإن هذه المذكرات الموجزة المكتوبة على عجل يمكن أن تكون كافية للتذكير بآهم نقاط أحاديثنا . وعندما يحين الوقت الملائم لرفعك إليها مباشرة إلى حكومتك أو لإبلاغها لفخامة اللورد ، فإن المصريين ، لوثوقهم في سجاياك الكريمة ، يتركون لحسن فطنتك أن تشير اهتمام فخامة اللورد بقضيتهم ، حتى يمكن أن يكون لنا سندًا ، سواء بما سوف يكتبه إلى مجلس الوزراء البريطاني ، أو بما سوف يقوم به عند عودته إلى إنجلترا . وإننا لنؤكد أن فخامة اللورد سوف ينتصر بذلك لقضية فيها نفع لبلاده ، ونؤيد هناك ما يمكن أن يكون أسمى غاية لسعى لورد نبيل مثله .

- ٢ -

إذا افترضنا أن ما سوف يعرضه «الوفد المصري لدى الحكومات الأوربية» ، باسم المصريين الذين فوضوه ، يبدو قليل الأهمية في نظر تلك الحكومات ، فإنكم يا سيادة القبطان توافقوننا على الأقل على أن الدول الأوربية لن تفعل أمجد أو أكرم من أن تبدي بقرار سياسى بسيط ظلمات الجهل والهمجية التي تخيم على هذه البلاد الدائمة الصيت . لقد كانت هذه البلاد مهدا لاستئنارتنا ولعلومنا

وفنوننا . ومجمل القول أنها كانت المركز الأول للحضارة التي نقلها عنها اليونان ومنها وصلت إلينا . وإذا كانت مصر بما فيها المزدهر العظيم لا تستطيع أن تشير في دول أوروبا شعور العرفان بصنعها وما لها من فضل ، فيهي تستطيع على الأقل أن تثير فيها شعور العطف عليها . فإذا ما تحقق ذلك ورداً إليها أمرها أمكنها أن ترضي كل الدول الطامحة فيها ، دون أن تهدد واحدة منها في مصالحها .

- ٣ -

لن يمضى وقت طويل حتى تؤيد بريطانيا حل القضية المصرية على الأسس التالية . . . وفي هذه الأثناء قد تقدم الحكومة الفرنسية نفسها باقتراح ذلك ، وعندئذ ينبغي ألا تنسى الحكومة الإنجليزية أن ما يقترح إنما هو نتيجة جهود الوفد المصري في باريس . ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلى أن تنظر الحكومة الإنجليزية إلى ذلك بشيء من الريبة . وإذا ما تقدمت فرنسا بمثل هذا المشروع السياسي ، فإنها سوف تفعل ذلك على سبيل المُحَامَلة ، لأن مصلحتها في نجاح المشروع أقل من مصلحة بريطانيا . والذى لا شك فيه أن حكومة الجمهورية الفرنسية لا تزال راغبة في امتلاك مصر مرة أخرى .

- ٤ -

تُوشِّك الإمبراطورية العثمانية على الانهيار . ونذافيهم الإنجليز قبل أن تقع الواقعة أن يتَّسُّوا أنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل

لهم الإفادة من ذلك الحدث عند وقوعه فيحققوا مصالحهم السياسية.
وإذا كان من المستحيل عليهم أن يستعمروا مصر - كما استحال ذلك
من قبل على فرنسا - فيكفي أن تخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا
صاحبة التفوق في البحار المحيطة بها، ولاشك في أن استقلال مصر
سوف يتحقق لها رخاءها، ولكنها لن تكون إلا دولة زراعية غنية
بحاصالاتها الوفيرة التي تنتجهما تربتها الخصبة وتجارتها التي تتفرد
بها مع قلب إفريقيا.

وهذه المزايا سوف تعود بالفائدة على بريطانيا التي يهمها -
بحكم مركزها في الهند - أن تتجه مع مصر وما حولها .

٥ -

لقد كان مراد بك^(٢) يقول - وربما كان على حق - أن كفار
الغرب (هكذا كان يسمى الدول الأوروبية) أصبحوا يعرفون مصر
معرفة تامة ، وأن الكل يسعى للاستيلاء عليها ، مما سيجعل منها
موضوعا دائماللخلاف فيما بينهم . وقد يقال إن بريطانيا لا حاجة
بها إلى الاستيلاء على مصر إذ أن لها من سيادتها البحرية
ما يجعلها تستأثر بتجارة مصر الخارجية ويضمن لها بالتالي أن
يكون لها ما تريده من نفوذ فيها . ولكن ماذا سيكون من أمر هذا
النفوذ إذا ما عادت فرنسا من جديد الخلقة الطبيعية للباب
العالى ، وإذا ما عمل الباب العالى من ناحيته على إرضاء فرنسا

(٢) من زعماء المالكيت في ذلك التاريخ . فر - بعد هزيمة المالكيت . إنى الصعب .
وهادن الفرتسين . . .

أكثر من بريطانيا؟ وكيف يكون الوضع إذا ما مضت الدولة العثمانية في إجراءاتها فأغلقت مرافوئها في وجه الإنجليز؟ ثم أليس من المتمم كذلك أن يضغط الفرنسيون على حلفائهم ليتخدوا - برا - تدابير عدائية أكثر مع الإنجليز، يمكن أن تقضى على تجارتهم في بلاد الشام وفي البحر الأحمر؟

- ٦ -

إن مشاعر المصريين نحو الفرنسيين ترجع إلى أساليب هؤلاء في الحكم في أثناء احتلالهم لمصر. ولست في حاجة إلى إعادة الكلام في هذا الموضوع، إذ أعتقد أنكم يمكن أن تستعيدوا بسهولة ما دار بيننا من حديث حوله. وعلى هذا فإن كل شيء، بما في ذلك مشاعر المصريين تجاه الفرنسيين وما يمكن أن يشعروا به تجاه الإنجليز كلما ازدادت معرفتهم لهم، يثبت أن مصر المستقلة لن تكون إلا موالية لبريطانيا. ومن ثم فعلى ببريطانيا أن تعامل على استقلال مصر، أو على الأقل أن تؤيد هذا الاستقلال بعد حدوثه. وذلك على ضوء ما هو متوقع من تطورات في مستقبل الأيام.

- ٧ -

إذا فرضنا أن حكومات الدول الأوروبية سمحت باستقلال مصر، فكيف يحكم المصريون أنفسهم؟ وكيف يدافعون عن استقلالهم؟

أولاً: لا يسمع الجمال في هذه المذكرات المحررة على عجل

بالدخول في تفصيلات مشروع الوفد المصري لحكم البلاد . ويكفي الآن أن نلاحظ أن قيام حكم الاستقلال لن يكون نتيجة انقلاب مبعثه وعى أمة اصطرعت فيها مختلف الأراء الفلسفية ، ولكنه سيكون نتيجة تغيير جرى تفرضه القوة القاهرة على قوم مسلمين جهلاء يكادون لا يعرفون سوى عاطفتين تحركان سلوكهم : هما المصلحة والخوف . فإذا استطاعت الحكومة الجديدة أن تسيغ على حياة الناس شيئاً من الرخاء وأن تعمل على زيادة دخولهم ، وهو أمر ليس بالعسير ، فمن المؤكد أنها ستتال تأييدهم بحماس . وكيف لا يكون الأمر كذلك وأى حكومة في العالم أفضل من الاستبداد التركي . فلتكن الحكومة الجديدة إذاً عادلة وحازمة ووطنية كما كانت حكومة شيخ العرب همام في الصعيد التي رویت لك قصتها . ولا شك أنها عندئذ سوف تكون موضع الاحترام والطاعة والحب .

ثانياً: كيف يدافعون المصريون عن استقلالهم؟ وهل سيكون هذا الدفاع ضد دولة أوربية؟ إن من غير المتوقع حدوث ذلك إلا بعد وقت طويل يكون قد تم في خلاله تنظيم جيش وطني قادر على رد الاعتداء . أما إذا كان الاعتداء من جانب الترك أو المماليك فتعتقد أن الدول الأوربية لن تسمح بحدوث ذلك . ومن جهة أخرى فإن المصريين يمكنهم أن يعتمدوا على قوات أجنبية تحمل لواءهم يتراوح عددها بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ جندي يكفون تماماً الصد التردد عند المصحراء ولسحق المماليك داخل مصر ، وتكون هذه القوات في الوقت نفسه نواة الجيش الوطني . ولما كان العثمانيون

يفعلون أي شيء من أجل المال فمن الممكن بذلك لهم لردهم عن مصر . ولقد كان الملوك يستعملون هذا السلاح كلما رأوا سحب السياسة تتلبد ضدهم في القسطنطينية .

وينبغي ألا يفوتنا أن نذكر في هذا الصدد أن المصريين منقسمون إلى عدة طوائف، وأن هذا الانقسام من شأنه أن يساعد على دفع هذه الطوائف بعضها البعض من أجل حفظ التوازن بينها . ولنوفد المصري صلات بهذه الطوائف جميعاً دون انحياز لواحدة منها على الأخرى . وهذه الصلات قائمة في الخفاء وستظل خافية تماماً عن الحكومة التركية في مصر . وهذه الحقيقة أمر لا بد منه تجاه حكم مستبد متربص بالناس، ولن يتواتي عن البطش بالأخوة دعوة الاستقلال والفتک بهم عن آخرهم إذا استطاع أن يكشفهم . ولقد استطاع الذين هجروا مصر من هؤلاء الأخوة مع الجيش الفرنسي أن يتحدون ضد إمبراطورهم ، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للأخوة الذين يقوى في مصر الترك، ولكن إذا أردوا إثبات ذلك بالتفصيل ، فهؤلاء يعيشون تحت السيف والعصا، ولا يملكون إلا إخفاء حقيقته . والظهور بمظهر عبد السلطان المخلصين .

- ٨ -

إن المصريين كافة ، والوفد المصري لدى الدول الأوروبية يوجهون ، سينيلون كل مافي وسعهم من جهد ليحرروا أنفسهم بطريقة ما من النير الذي يشغل كاهل بلادهم التعة . ولكن إذا خاب سعيهم وجاءت اتفاقيات الصالح العام بعكس ما يرغبون ، وشاء القدر أن يعود الترك إلى امتلاك هذه الأقاليم الجميلة الشهيرة

وتعريفها بذلك لتجدد العدوان عليها ، فقل ما يلتمسه المهاجرون المصريون من الدول المتعاقدة أن تكفل لهم من الضمانات ما يدرأ عنهم شر انتقام الترك إذا ما عادوا لوطنيهم .

- ٩ -

بالرغم من أن الوفد المصري لا ي عمل إلا من أجل تحقيق مشروع سياسي فيه نفع لجميع الحكومات بما في ذلك الحكومة التركية (وبالرغم مما يبدو من غرابة هذا القول فيمكننا البرهنة على صحته) ، فقد تعرض ظروف لابد فيها من المحافظة على أسرار المفاوضات . وندلك فإننا نرافق بهذا شفرة يمكن استعمالها في مراسلاتنا إذا اقتضى الأمر ذلك .

- ١٠ -

يرى الوفد المصري حرصا منه على نجاح المفاوضات المزمعة ضرورة كتمان أمر ما فاختناكم فيه من مقدمات لها ، وكذلك ما يمكن أن تبلغوه لفخامة اللورد ، عن فرنسا وعن أي طرف يستطيع عرقتها . إن خطة الوفد أن يعمل في أوربا على أن تكون فرنسا هي التي تبدأ بعرض المقترنات الأولى على بريطانيا ، وتكون بريطانيا عندئذ قد اقتنعت بما في مشروع الاستقلال المقترن من مزايا فتؤيده . وبهذه الطريقة فإن الوفد المصري لن يتعرض لأن يرى الحكومة الإنجليزية ترفض المشروع بمجرد علمها به بسبب العداء

التقليدي بين الأمتين الإنجليزية والفرنسية ، أو شكا منها في وجود
دسيسة ما من دسائس فرنسا .

- ١١ -

لکى تسهل مراسلتنا من فرنسا أو من غيرها يعکنك ياسيدى
القبطان أن ترسل ما ت يريد إلى السنیور الكونت انطون کاسیس
(قیس) المقيم في تریستا ، وهو يقوم بتحويلها إلى حيث یقيم
الوفد ، على أن یوضخ ذلك بوضع اسمه على كل رسالة . أما
الرسائل التي قد توجه إلينا من إنجلترا ، فإن وصولنا إلى باریس
سوف یشیع أمره فتیسر عندئذ معرفة أین نقيم ، وبهذا يمكن أن
أتسلم رسائل حکومتکم بسهولة . ولكن تلزم الحیطة التامة فيما
يتصل بهذه النقطة الأخيرة حتى لا تتسرّب أیه شکوك إلى
الحكومة الفرنسية .

ظهر السفينة پلاس في ٢١ سبتمبر ١٨٠١

٥- إعلان الولاء لبونابرت

(. . . أما رفقاء المعلم يعقوب - في الخيانة - . . . والذين واصلوا - بعد وفاته على ظهر الباحرة «بالاس» - واصلوا مساعي التحرير والاغراء لفرنسا كي تعمل - بالوسائل غير العسكرية - على إخراج مصر بفرنسا . . . وتطبيق التشريعات الفرنسية بمصر ، بدلاً من شريعتها الإسلامية وقانونها الوطني . . . فلقد كتبوا إلى بونابرت ، ليعمل على «استقلال» مصر عن حضارتها الإسلامية ، ومحيطها العربي ، مؤكدين أن في ذلك «الاستقلال» من المكاسب لبونابرت وفرنسا ما يعوض عن الخسارة العسكرية تعويضاً يفوق النجاح العسكري مائة مرة ! . . .
فالقصد الأعظم ، هو أن تدير مصر ظهرها للعروبة والإسلام والشرق ، ملتحقة بأوروبا ! . . .

وفي هذا السبيل ، كتبوا لبونابرت يقولون :

من نصر أفندي نيابة عن الوفد المصري إلى القنصل الأول بونابرت إلى القنصل الأول للجمهورية الفرنسية من الوفد المصري الذي يكن له أعظم التقدير .
الحجر الصحي بمارسيليا في أول فندق ميمير من السنة العاشرة
للسنة العاشرة (٢٢ سبتمبر ١٨٠١) صفر ١٢١٦^{١١}

(١) لأن معرفة كاتب هذه الرسالة - غير أفندي - بال بتاريخ الميلادي أكثر من معرفته بتاريخ الهجري علامة على أنه يكتب من مرسيليا - فقد راجعنا مذكرة التاريخ - معتمدين الميلادي - فوجدناه يقابل ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢١٦ هـ انظر طعة (التعريفات الإلهامية) التي حققناها - ص ١٢٥٤ طبعة بيروت سنة ١٩٨٠ م .

في قديم الزمان ، إبان تلك العصور الموجلة في القدم ، عندما كانت فرنسا في حالة الفطرة تكسوها الثلوج والغابات ، كانت مصر متحضررة مزدهرة ينهل مشرعاً الإغريق من معين علمها وعمرتها . ثم دار الزمان دورته وشاء القدر أن يفرد مصر بعصر الخاضر أحفاد رواد الحضارة في الماضي إلى فرنسا وهي تعم بحكمك الرشيد ، ليتعرفوا على نظم أمة يحبونها وليرقعوا على ما استحدثه من وسائل لم تسبقها إليها أمة أخرى ، مكتنها - وهي الجمهورية الناشئة - من الاحفاظ على مكاسبها الخيرية بما سنته من نظم سياسية جديدة وكما أن سولون (Solon)^١ عند عودته لبلاده من مصر شرع للإغريق ما اقتبسه من النظم المصرية ، فإن المؤيد النصري الذي فوضه المصريون السابقون على ولائهم نك سيشرع ل مصر ما ترضاه لها من نظم عند ما يعود إليها من فرنسا .

إن هذا سوف يحدث ياخامة الفنصل الأول إذا تفضلت . من أجل مجدك و من أجل المصلحة السياسية للجمهورية الفرنسية . فمددت يد المساعدة للمصريين التفاء الدين و ضعت عنهم من قبل أغلالاتهم التي عادوا يتذمرون بها من جديد ، و تكررت فأحسنت استقبالاً وكلائهم في باريس . إننا نأمل أن يكون استقبالنا في العاصمة الفرنسية بثابة اجتماع شرقي يجدد لك ذكري الفتح العظيم الذي أفاء الله به عليك ثم ضاع منك^٢ . ولا بد أنك - ياسيدي الفنصل الأول - شديد الإحساس بألم ما فقدت ، ولكنك إذا عمت في

(١) سولون (٦٤٠ - ٥٥٠ ق.م) أعظم مبشر على أليها ، وأحد حكماء اليونان السبع الشهير بالقوتين التي منها ، والتي حفظت وطأة الفرائس على الفقراء .
 (٢) هل يقوم المحتفلون بذلك في حملة بونابرت بهذه الهمة^٣ تجديد ذكري الفتح النابليوني العظيم ، ١٩

معاهدات الصلح على أن تكون مصر مستقلة فسوف تعوض خسارتك
فيها مائة مرة . إن هذه هي أمانينا التي أخذنا على أنفسنا عهدا
بالسعى إلى تحقيقها .

عن الوفد المصري

وكيله

مُرافقته

حاشية : أغا الانكشارية^(٤) وعضو الوفد الذي سبق أن عرفه
فخامة القنصل الأول في القاهرة يرجونى أن أذكره بأنه لن ينسى
ما غمرته به من عطف حينذاك^(٥) .

(٤) هو - كما ذكر الدكتور أحمد الصاوي - عبد العال أغا الانكشارية ، واحد
التعاونيين مع جيش الحملة الفرنسية ، والذين خرجوا من مصر مع ثورات العزارة
سنة ١٨٠١ م .

(٥) رحينا - في هذه الوثيقة - إلى كتاب (العلم بعقوب) ص ١٤٩ ، ١٤٠ .

٦- اختراق إفريقيا بواسطة مصر

(. . . كما كتب رفقاء المعلم يعقوب إلى وزير الخارجية الفرنسي - «تاليران» (١٧٥٤ - ١٨٢٨م) - يعرضون خدمائهم بتسخير أقباط مصر وكنيستها لتحقيق اختراق فرنسا لوسط إفريقيا ، وذلك عن طريق الكنيسة الأثيوبيّة - التابعة في المذهب للكنيسة المصريّة - . . . وهو المشروع الاستعماري الفرنسي القديم - منذ الملك لويس الرابع عشر (١٦٣٨ - ١٧١٥م) - . . .

كتب رفقاء المعلم يعقوب إلى «تاليران» يعرضون العمل على تنفيذ هذا المشروع الاستعماري الفرنسي القديم - في عهد الجمهورية - بعد فشل الحملة العسكريّة على مصر - ! . . . ف قالوا ()

من نصيحتي إلى وزير الخارجية الفرنسية (تاليران) (١)

سيهبط إلى موانئ الجمهورية الفرنسية عدد كبير من المهاجرين الشرقيين الذين غادروا بلادهم مع قوات جيش الشرق التي تم جلاوها عن مصر .

والوقد المصري بالرغم من أنه فقد رئاسته الجنرال يعقوب الذي قضى نعبه في أـء السفر، يعلن كل ما يشعر به من ولاء وتقدير للجمهورية الفرنسية، ويرى من الضروري أن يلتجأ إليك ياسعادة

(١) تاريخ هذه الرسالة هو ذات تاريخ الرسالة السابقة - المرفوعة إلى بومارييه - ٢٣ سبتمبر سنة ١٨١١م، ولقد رجعنا فيها إلى المرجع السابق . ص ١٣١ - ١٣٣ .

الوزير لتفاضل وتصعده هو وأولئك المهاجرين تحت رعايتك
وتشملهم بكرملك وعذائك .

لقد كان لويس الرابع عشر يعمل في الظاهر على ضم كنيسة أثيوبيا
إلى الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية) ، ولكنك كان يسعى في الحقيقة لم
تفوذه السياس نحو أقاليم وسط إفريقيا الحذاية الغامضة . ومن ثم بذل
عدة جهود لم يقدر لها النجاح لكن يتعلم في فرنسا عدد من شباب
القبط المصريين ، لأن بطريرك الأقباط هو هو نفسه رأس الكنيسة
الأثيوبية . وإذا كان الملك قد أخفق في مسعاه ، فإن الجمهورية الفرنسية
اليوم في ظل حكم القنصل الأول^{١٢} استطاعت أن تحقق ما عجزت عن
تحقيقه الملكية المطافية الاستبدادية .

وإن الوفد المصري الذي ينوب عن الأمة المصرية ليجسد وحدة
كل ما يختلي في نفوس الذين أذابوه عنهم من شعور بالصلحة
المشتركة . وما يحثشد في قلوبهم من أمان وما يملكون من فطنة
وما يتسعون به من ثقافة وثروة . وهو يعبر عما أجمعوا عليه في
يتمثل في رغبتين :

الأولى : هي القضاء على القوة الفشوم التي عادت تستبد بهم من
جديد .

والثانية : هي وضع ثقتهم في فرنسا ليقينهم أن مصلحة الجمهورية
الفرنسية ذاتها تقتضي لا تخيب أملهم .

وبناء على ذلك فنحن نتقدم إلى سعادة الوزير باقتراح : لقد
تكمدت فرنسا في الشرق خسارة جسيمة ، فلم لا تتخذ من هذا الوفد

(١٢) أي بولنبوت .

وسيلة لتعويض ما خسرته؟ إنك إذا تفضلت فدعوت الوفد إلى لقائك في باريس قبل توقيع الاتفاق التمهيدي مع بريطانيا ، فإننا نستطيع أن نؤكد لك أن فرنسا سوف تحتفظ بنفوذها السياسي في الشرق وتحميء مما قد يفقدها إياه زمنا طويلا نتيجة للجلاء عن مصر وما تطور إليه أمرها الآن ، ونتيجة لمؤامرات الدول التي تخشى بحق زيادة نفوذ فرنسا . بل نستطيع أكثر من ذلك أن تتأكد أن فرنسا إذا أرادت - يمكنها عن طريق الأمة المصرية التي ستكون موالية لها مد نفوذهانحو أواسط إفريقيا . وهكذا يتحول ترككم مصر للإنجليز من نكبة إلى سبب بعد التفصل الأول ومصدر رفاهية للاقتصاد الفرنسي في الجنوب .

ولا يرى الوفد المصري في الوقت الحالى داعيا للاطالة . فهو يستطيع في جلسة واحدة في باريس أن يوضح مقاصده بما لا يستطيع في عشرين مذكرة مكتوبة . ونحن العرب نقدر في الحديث على التعبير عما نريد . وإن كنا في الكتابة قد لا نستطيع أن نبلغ الغاية في يسر . وبالإضافة إلى هذا فنحن مدركون بما تفرضه علينا كثرة مشاغلنا السياسية من ضرورة الإيجاز في الرسائل .

إننا نرجو التفضل بالرد على كتابنا هذا ، وأن تسمح لنا إنما تكرمت باستقبالنا في باريس أن تقابلك بزيانا اشرقي ، فالملمون هنا بالذات ليس من اليسيير عليهم تغيير زيهم^(٣) ، ثم إن هذه

(٣) كان هناك ملمون تعاونوا مع الحملة الفرنسية . ومنهم من غادر مصر مع جيش الحملة المهزوم . . وبعدهم شارك في هذا الوفد . . والحقيقة لم تكن كلها من غير المسلمين ! . .

الأزياء الشرقية قد تذكر فخامة القنصل الأول بفتحه السابقة
وترضى حب الاستطلاع لدى من لم يتبعوه للشرق .

إن الرفند المصري يعلم تماماً أن وقت القنصل الأول ، الذي يدبر
بنفسه شئون الحكم حتى في أدق جزئياتها ، وتنعم الدولة
برعاياته . أثمن من أن يتفقه في التندر بقراءة ما يرد إليه من
الرسائل الخاصة . ولكننا نرجوه أن يقدر أن وفتنا ينفرد بظبيعة
خاصة ، وأنه يصل إلى فرنسا في ظروف معينة ، وأن كتاباته
المرفق بها (١) له أهميته . فيفضل بتسليمها ويعن النظر فيه
بحكمته العميقة (٢) .

(٤) الإشارة إلى التوبيخ السابقة . المروعة من هذا «الوفد» إلى بيروت

(٥) جدير بالذكر أن «تاليران» ، الذي سعى إليه رفقاء المعلم بعنور .. هو نفسه الذي
سفن له - قبل الخيبة على مصر - وتندم مصر على مشروع استعمار مصر إلى الحكومة
الفرنسية عبها على أن هذا الاستعمار الفرنسي هو إحياء لـ«ميراطور» الرومانية
- التي كانت مصر من متنعماتها - فقال : «كانت مصر مقاطعة في الجمهورية
الرومانية ، فيجب أن تصبح للجمهورية الفرنسية» !!

٧- واختراق منظومة القيم

(ولم تقف محنـة هذه الحـملـة عند احتـلالـ الأرض .. ونهـبـ الشـرـوة .. وزـرـعـ الـخـيـانـة .. واختـراقـ سـيـاجـ الـأـمـنـ الـوـطـنـيـ وـالـقـوـمـيـ وـالـخـاصـارـي .. وإـنـاـ أـحـدـثـ خـرـقـاـ وـاـخـتـرـاقـاـ فـيـ مـنـظـوـمـةـ الـقـيـمـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ وـالـشـرـقـيـةـ .. وـذـلـكـ عـنـدـمـاـ أـضـفـتـ أـفـكـارـ وـمـمـارـسـاتـ الـفـرـنـسـيـنـ،ـ الـمـشـرـوـعـيـةـ،ـ وـالـعـلـنـيـةـ،ـ عـلـىـ الـمـحـرـمـاتـ وـالـانـحـرـافـاتـ ..

وـاـذـاـ كـانـ الاـخـتـرـاقـ عـلـىـ هـذـهـ الـجـبـهـ يـسـتـحـقـ درـاسـةـ طـوـبـلـةـ وـمـعـمـقـةـ ..ـ فـيـنـ هـذـاـ مـقـامـ تـكـفـيـ فـيـهـ هـذـهـ السـطـورـ،ـ التـيـ كـتـبـهـاـ شـاهـدـ الـعـصـرـ وـحـجـتـهـ وـأـعـظـمـ مـؤـرـخـيـهـ ..ـ فـلـقـدـ كـتـبـ الـجـبـرـتـيـ عـنـ هـذـاـ الاـخـتـرـاقـ لـنـظـوـمـةـ الـقـيـمـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـشـرـقـيـةـ،ـ فـقـالـ :ـ)

« ..ـ وـمـنـهـاـ تـبـرـجـ النـسـاءـ،ـ وـخـرـوجـ غـالـبـهـنـ عـنـ الـخـشـمـةـ وـالـخـيـاءـ ..ـ

وـهـوـ أـنـهـ لـاـ حـضـرـ الـفـرـنـسـيـسـ إـلـىـ مـصـرـ،ـ وـمـعـ الـبـعـضـ مـنـهـمـ نـسـاـؤـهـمـ،ـ كـانـوـاـ يـشـوـنـ فـيـ الشـوـارـعـ مـعـ نـسـائـهـمـ وـهـنـ حـاسـرـاتـ الـوـجـوهـ،ـ لـاـبـسـاتـ الـفـسـتـانـاتـ وـالـنـادـيلـ أـخـرـيرـ الـمـلـوـنـةـ،ـ وـيـسـدـلـنـ عـلـىـ مـنـاكـبـهـنـ الـطـرـحـ الـكـشـمـيرـيـ وـالـمـزـرـكـشـاتـ الـمـصـنـوـعـةـ،ـ وـيـرـكـبـنـ الـخـيـولـ وـالـحـمـيرـ وـيـسـقـنـهـاـ وـقـاعـيـفـاـ،ـ مـعـ الـضـحـكـ وـالـقـهـقـهـةـ،ـ وـمـدـاعـيـةـ الـمـكـارـيـةـ مـعـهـمـ وـحـرـ اـفـيـشـ الـعـامـةـ.

فـصـالـتـ إـلـيـهـمـ نـفـوـسـ أـهـلـ الـأـهـوـاءـ مـنـ النـسـاءـ الـأـسـافـلـ وـالـفـواـحـشـ،ـ فـتـدـاخـلـنـ مـعـ الـفـرـنـسـيـسـ،ـ لـخـضـوـعـهـ لـلـنـسـاءـ،ـ وـبـذـلـ الـأـمـوـانـ لـهـنـ،ـ وـكـانـ ذـنـكـ التـدـاخـلـ،ـ أـوـلـاـ،ـ مـعـ بـعـضـ اـحـتـشـامـ وـخـشـيـةـ عـارـ،ـ وـمـبـانـيـةـ فـيـ إـخـفـانـهـ،ـ

فلمما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر - (أى ثورة القاهرة) - وحاربت
الفرنسيين بولاق، وفتكتوا فى أهلها، وغنموا أموالها، وأخذوا ما
استحقوه من النساء والبنات، صرن مأسورات عندهم، فزينوهن
بزى نسائهم، وأجروهن على طريقتهن فى كامل الأحوال، فخلع
أكثرهن نقاب الحياة بالكلية، وتدخل مع أولئك المأسورات غيرهن من
النساء الفواجر، حتى كثرت الفواحش من النساء، مع ما حمل
بالمسلمين من الذل والهوان وسلب الأموال، واجتماع خيرات الدنيا
فى حوز الفرنسيين، وشدة رغبتهن فى النساء، وخطوئهم لهن،
وموافقة مرادهن وعدم مخالفتهن هواهن، ونؤشتنه أو ضربه
بتاسومنتها^(١) على قفاه، ولو كانتهى فى غاية القبح، فطرحن الخشمة
وانوقار، والمبلاة والاعتبار، واستلمن نظرانهن، واحتلشن عقولهن،
ليل النفوس إلى الشهوات، وخصوصاً عقول القاصرات.

وخطب الكثير منهم بنيات الأعيان وتزوجوهن، رغبة فى سلطانهن
ونوالهن، فيظهر حالة العقد الإسلام، وينطق بالشهادتين، لأنه ليس له
عقيدة يخشى فسادها.

وصار مع حكام الأخطاط^(٢) منهم النساء المسلمات، متربيات بزيمهم،
ومشوا معهن فى الأخطاط للنظر فى أمور الرعية، والأحكام العادلة،
والأمر والنهى والمناداة، وتنسى المرأة بنفسيها أو معها بعض أترابها
وأضيفها على مثل شكتها، وأمامها القواستة^(٣) والخدع وبأيديهم

(١) نوع من التعان.

(٢) مفردتها : خطة - المربع السكتى ، والجى فى المدية .

(٣) مفردتها : قواص - وهو حامل القوس .

العصى يفرجون^(١) لهن الناس، ويتوسون من أجل مرورهن الطرق
مثل ما يمر الحاكم، ويأمرون وينهين في الأحكام.

ولما وفى النيل، ودخل الماء في الخليج، وجرت فيه السفن، وقع عند ذلك من تبرج النساء واحتلاطهن بالفرنسيين ومصاحبيهم لهن في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل، في الفوانيس والشمع المونقدة، وعليهن الملابس الفاخرة والخلي والجواهر المرصعة، وصعبيتهم آلات الطراب، وخدمة السفن يكثرون من التهزل والمجون، ويتعجّلّون برفع الصوت في تحريك المقادير بسخاف م الموضوعاتهم وكثياف مطبوعاتهم، وخصوصا إذا دبت الخشيشة في رؤوسهم، وتحكمت في عقولهم، فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ويتعجّلّون بمحاكاة الفرنساوية في غنائهم، وتقدير كلّا مهما شاء كثير.

وأما الجواري السود، فإنّهن لا يعلمون رغبة القوم في مطلق الأشياء، ذهبن إليهم أفواجا، فرادى وأزواجا، فنططرن للحيطان، وتسلقن إليهم من الطيقات، ودلواهم على مخبّات أسيادهن، وخبايا أمواهم ومتاعهم وغير ذلك...^(٢) إلخ... إلخ... إلخ

(١) أي يتوسون لهن الطريق بين الناس ...

(٢) (مظاهر التقديس) ص ٣١٠، ٢١١.

والآن ...

وبعدهذه النماذج من وثائق التضليل والإفك .. والخيانة والاختراق للأمن الوطني والقومي والحضاري - التي صنعها بونابرت وحملته على مصر ... سيد هش القاري، لامن هذه الأكاذيب والخيانات والاختراقات - المثيرة للدهشة .. وإنما من عقمة الإسلام، وسماحة مصر الإسلامية في مواجهة هذا الذي افتره هذا النفر من أبناء مصر، باغراء ورعاية وتشجيع من الفرنسيين -.

فلقد قسمت مصر على كل هذه الجراح .. وسفت إلى طي صفحاتها الكالحة السواد .. وواجهت لتضميد جراح الوحدة الوطنية بين أبنائها .. فعممت النداءات للشعب والأهالى في مختلف الأقاليم والمدن والقرى، لبيان هذا الذي حدث، وأحذر من الانتقام، ومعاملة الأقباط بالسماحة والحسنى، بل والتماس الأعذار لهذا الذي صنعه هذا الفريق من «أراذل القبط» !

بل إن الدهشة لتبلغ الذروة إذا علمنا ما بذله مصر .. إبان استعداد جنود الحملة الفرنسية للا بخار، لاقناع حتى المعلم يعقوب بالبقاء في مصر، عارضة عليه التجاوز عما اقترفت يدها طوال سنوات الاحتلال ! ..

نعم .. لقد صنعت مصر الإسلامية ذلك .. ولم تنصب الشانق لقيادات الخيانة .. الذين نصبوا الشانق وحرقوا وأغرقوا العلماء والقادة والمواطنين والمواطنات .. وعن هذه السماحة يتحدث الجبرتس، فيقول :

لقد تُودى بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصراني ولا يهودي، سواء كان قبطياً أو رومياً أو شامياً، فإنهما من رعايا السلطان، والماضي لا يُعاد..

وكتبَت فرمانات، وأرسلت إلى بلاد الشرقية، والمنوفية، والغربية، مضمونها: الكف عن أذية النصارى واليهود وأهل الذمة، وعدم التعرض لهم، وفي فضحتها (أى الفرمانات) - آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، والاعتذار عنهم بأن الحامل لهم على تداخليهم مع الفرنساوية: صيانة أغراضهم وأموالهم..

كما قرنت فرمانات - صحية، عثمانى كتخداً - نائب الوالى العثمانى . وفيها: التسوية بذكر أعيان الكتبة الأقباط والوصية بهم، مثل: جرجس الجوهري، وواصف، وملطي... - (وهم الذين شاركوا مع يعقوب هنا - في قيادة الفيالق العسكرية لحساب الحملة الفرنسية) ^(١) ..

نعم.. لقد تلقت مصر جراحها.. وسعت إلى تجاوز المحنة، التي صنعتها بونابرت وحملته الاستعمارية.. محنة الإبادة التي قتلت ^٧ الشعب المصرى في ثلاثة سنوات.. وأحدثت أخطر الاختراقات على جبهات الوحدة الوطنية والأمن القومي والحياة الفكرية ومنظومة القيم والمثل والأخلاق..

* * *

(١) (عجائب الأنار) ج ٥ ص ٣٠٤، ٢٩٩، ٢٩٢

فهل يشوب القرآن كفونيون - الذين ينكرون هذه الجراح، باحتفالهم
بهذه المعنة هل يشوبون إلى رشدهم، لسفر غرب بلادنا وأمتنا إلى
معاركها الحقيقة والكبرى والملعنة؟ ..

إن فطرة الوطنية تناديهم للاحتفال بالاستقلال، لا بالاحتلال.
والفرج بانتصارات أمتهم، مع الاعتبار من هزائمها .. فهل تتغىّب
نديهم الفطرة السوية على هذا الشذوذ الغريب؟ ! ..

نأمل ... ونرجو ... ذلك:

﴿إِنَّهُ لَا يَبْيَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) - (٩١) .

صدر من سلسلة (في التنوير الإسلامي)

١ - الصحوة الإسلامية في عيون عربية .
٢ - الغرب والإسلام .
٣ - أبو حيyan التوحيدى .
٤ - دراسة قرآنية في فقه التجدد الحصاري .
٥ - ابن رشد بين الغرب والإسلام .
٦ - الاتناء الشفافي .
٧ - تصوير العالم .
٨ - التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات .
٩ - ضراع القيم بين الغرب والإسلام .
١٠ - د. يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية .
والمشروع التفكري .
١١ - تأملات في التفسير الحضاري للقرآن الكريم .
١٢ - عندما دخلت مصر في دين الله .
١٣ - آخر كاتب الإسلامي رؤية نقدية .
١٤ - المنهاج العقلاني .
١٥ - التموج الشفافي .
١٦ - منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق .
١٧ - تجديد الدنيا بتجديد الدين .
١٨ - الثوابت والتغيرات في البقظة الإسلامية الحديثة .
١٩ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم .
٢٠ - التقدم والاصلاح بالتنوير الغربي .
٢١ - فكر حركة الاستمارة . . . وتناقضاته .
٢٢ - حرية التعبير في الغرب من سلمان رشدي إلى روچية جارودى .
٢٣ - إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .
٢٤ - الحضارات العالمية تدافع؟ . أم ضراع .
٢٥ - التنمية الاجتماعية بالغرب ؟ . أم بالاسلام ؟؟ .
٢٦ - الحملة الفرنسية في الميزان .
٢٧ - الإسلام في عيون غربة . . دراسات سويسرية .
٢٨ - الأقلويات الدينية والقومية تنوع ووحدة . .
أم نقيمة وأحتراق .
٢٩ - ميراث المرأة وقضية المساواة .
٣٠ - نفقية المرأة وقضية المساواة .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	تمهيد
٦	قمة الشذوذ
١٣	حملة نابليون على مصر
٢٢	خلق المشروع الصهيوني
٢٥	خلق المارونية السياسية والتغريب الثقافي
٣٠	وعلى الجبهة المغربية أيضا
٣٤	وخرافة المطبعة .. والجمع العلمي
٣٧	أوراق ووثائق الاختراق
٣٨	١- إعلان بونابرت إلى المصريين
٤٧	٢- جيش الخيانة الوطنية
٤٩	٣- رئاء الخيانة للاحتلال

٤٠	ووصية يعقوب بتبغية مصر لإنجلترا	٥٥
٥٤	إعلان الولاء لبونابرت	٦٤
٦٧	اختراق إفريقيا بواسطة مصر	٦
٧١	واختراق منظومة القيم	٧
٧٤	والآن	



نهضة مصر
لطباعة والنشر والتوزيع

أسسها أحمد محمد بيلاقيم سنة ١٩٢٨

إلى القارئ العزيز ..
في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..
فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويراً إسلامياً متميزاً .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ،
التي يسيئم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د. محمد عمارة ● المستشار طارق البشري
- د. حسن الشافعى ● د. محمد سليم العوا
- أ. فهيمى هويدى ● د. جمال الدين عطية
- د. سيد دسوقي ● د. كمال الدين إمام
- د. عبد الوهاب المسيري ● د. شريف عبد العظيم
- د. عادل حسين ● د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين المسلمين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر